المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

(22)

الأصول الإسلامية للتنشئة السياسية

Islamic Foundations of Political Socialization

د. راشد التجاني سليمان إبراهيم
الاستاذ المشارك - قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة أم درمان الاسلامية

د. ليلى سيد مصطفى ارباب
الاستاذ المشارك قسم العلوم السياسية والعلاقات الدولية
كلية الاقتصاد والعلوم السياسية - جامعة أم درمان الاسلامية

2026

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

المستخلص:

إنَّ التّنشئة السِّياسيّة جزء لا يتجزأ من التّنشئة بوجهٍ عام؛ ولذلك يظهر وجوب التّنشئة السِّياسيّة وأهميّتها لكونها تُكمِّل مفهوم التّنشئة بوجه عام؛ فإنَّها السَّبيل إلى تصحيح عمليّة التّنشئيّة وتقويمها، حتَّى تصبح كاملة لا يشوبها نقص ولا يعتريها ضعف أو خلل. للإسلام دورٌ تربويٌّ في المجتمع يتجلّى في كونه ناسجاً للإطار الفكريّ للمجتمع، ومحدِّداً لمعاييره القيميّة والأخلاقيّة، ومنظِّماً لحياته الاجتماعيّة بجميع أبعادها: السِّياسيّة، والاقتصاديّة، والتَّعليميّة، والاجتماعيّة بمعناها العام والخاص.

تهدف الورقة الى: إظهار التّرابط العقائديّ بجوانب النِّظام الإسلاميّ على مختلف المحاور السِّياسيّة والاجتماعيّة، بيان مفهوم التّنشئة السِّياسيّة في ضوء الإسلام، توضيح خصائص وأسس التّنشئة السِّياسيّة في النِّظام الإسلاميّ، تحديد الأنماط والمؤسَّسات الإسلاميّة للتّنشئة السِّياسيّة، معرفة أهداف التّنشئة السِّياسيّة في النِّظام الإسلاميّ.

تتبع الورقة المنهج التكامليّ الذي يجمع بين كلّ من المنهج (الاستنباطيّ) و(التاريخيّ) و(التحليليّ)، حيث اعتمد الباحث على المنهج الاستنباطيّ الأصوليّ الذي يقوم على جمع النصوص الإسلامية المتعلِّقة بالظاهرة، وفهم النصوص فهماً صحيحاً.

ومن اهم النتائج: إن التّنشئة السِّياسيّة في الفكر الإسلاميّ ترتكز على عدد من الأُسس أهمّها: الضَّبط الاجتماعيّ للإنسان والمجتمع، تكامل جوانب الحياة، تكافؤ الفرص في جميع مجالات الحياة، تنمية الذّكاء الفطريّ للإنسان بالتَّفكير، هناك ضرورة ملحة إلى صياغة أهداف تربويّة محدَّدة تتّصف بالأصالة والمعاصرة في مجال التّنشئة السِّياسيّة في الإسلام، وذلك للوصول إلى بعض الأهداف، أهمّها: تحقيق الحاكميّة لله، تطبيق الشُّورى بين النّاس، نشر العدالة، تحقيق الطَّاعة والمسؤولية بين الحاكم والمحكوم، توفير الحُرِّيَّة.

ومن التوصيات: ضرورة إنشاء مراكز بحثية، ومجلات علمية محكمة متخصصة في مجال الأصول الإسلامية للتّنشئة، تتناول مختلف قضايا التّنشئة المتضمنة لهذا المجال، ضرورة إنشاء معاهد للتّنشئة السِّياسيّة لتأهيل كوادر مدرَّبة في هذا التَّخصُّص المهمّ، ضرورة وضع منهج متكامل للتّنشئة السِّياسيّة يتمّ تفصيله في شكل مقرَّرات دراسيّة، تُدرَّس في مختلف المراحل الدِّراسيّة، بحيث تكون صياغة هذه المناهج مستوحاة من نتائج البحوث التَّجريبيّة في هذا المجال، ومن المنابع الأصليّة لهذه الأُمّة.

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، الذي أنزل الكتاب هدى للنّاس وبينات من الهدى والفرقان، والصلاة والسلام على معلم النّاس الخير، وعلى آله وصحابته نجوم الهدى ومن اقتدى بهديهم إلى يوم الدِّين. وبعد،

إنَّ للإسلام دوراً تربويّاً في المجتمع، يتجلّى في كونه ناسجاً للإطار الفكريّ للمجتمع، ومحدِّداً لمعاييره القيمية والأخلاقيّة، ومنظِّماً لحياته الاجتماعيّة بجميع أبعادها السِّياسيّة والاقتصاديّة والتعليميّة والاجتماعيّة بمعناها العام والخاص.

الإسلام مفهوم شامل للحياة بجميع نظمها وأبعادها، لكنّ البعض يحاول أن يحصره أو يحاصره في نطاق ضيّق جدّاً، معتبراً إيّاه مجرّد صلة بين الإنسان وخالقه؛ ممَّا يفرض عليه بعض الفرائض الدِّينية التي يؤديها لربه. وهذه

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

المحاولة مشوبة بعدم الفهم الواضح للإسلام. ومن ثمَّ فإنَّ مناقشة الدِّين كنظام اجتماعيّ متفاعل مع النُّظم الأخرى في داخل المجتمع يُمثِّل إحدى المداخل الرئيسة في فهم إستراتيجيّة الإسلام، بل فهم تأثير أيّ دين في المجتمع. كما أنَّ مناقشة ما يتّسم به الإسلام من شمول وتكامل، وقيادة للنظم الاجتماعيّة الأخرى وصبغها بصبغته؛ يوضِّح أنَّه نظام حاكم في المجتمع، يصيغ فكره، ويرسم مساراته المختلفة، ويُحدِّد القيم بجميع النُّظم الاجتماعيّة الأخرى، ومنها نظام التّنشئة السياسية. وهو ما نُعْنَى به في هذة الورقة.

منهاج الإسلام في التّنشئة منهاج ثابت، يستند إلى الكتاب والسُّنَّة النَّبويّة المطهَّرة، يصلح لكلِّ زمان ومكان. أمَّا ما عداه من نظريّات التّنشئة الأخرى؛ فهي متغيّرة وَفقاً للثقافات والعادات والموروثات التي تدعو إلى الانفتاح والحُرّيَّات المفرطة تحت مظلّة التَّقدُّم والتَّطوُّر. لذلك يجب على كلِّ مسلم أن يسير وفق منهج التّربية الإسلاميّة في تربية أطفاله وتنشئتهم، حتَّى تتحقَّق الأهداف المنشودة، ويُتوصَّل للغاية التي من أجلها خُلِقَ الإنسان.

تتناول هذة الورقة موضوع: (الاصول الاسلامية للتّنشئة السِّياسيّة)، وهو محاولة تأصيليّة في مجال التّنشئة السِّياسيّة تهتم بدراسة جانب التّنشئة السِّياسيّة، التي برغم الأهمية البالغة لها استشعاراً للأهمية التّنشئة السِّياسيّة تاتي المشكلة التى تحاول الورقة حلها هي السؤال الريئسي ما الأصول الإسلاميّة للتّنشئة السِّياسيّة ويتفرع من هذا السؤال مجموعة من الاسئلة منها:

1/هل للعقيدة أثر في النِّظام الاجتماعيّ؟

2/ما أهمية التّنشئة السِّياسيّة؟

3/من أين تُسْتَنْبَط الأصول الإسلاميّة للتّنشئة السِّياسيّة؟

4/ما أهداف التّنشئة السِّياسيّة في النِّظام الإسلاميّ؟

5/هل هناك مؤسَّسات للتّنشئة السِّياسيّة في النِّظام الإسلاميّ؟ وما دورها؟

6/ما خصائص التّنشئة السّياسيّة في النِّظام الإسلاميّ؟

تتلخص أهداف الورقة في التالي:

1/إظهار التّرابط العقائديّ بجوانب النِّظام الإسلاميّ على مختلف المحاور السِّياسيّة والاجتماعيّة.

2/بيان مفهوم التّنشئة السِّياسيّة في ضوء الإسلام.

3/توضيح خصائص وأسس التّنشئة السِّياسيّة في النِّظام الإسلاميّ.

4/تحديد الأنماط والمؤسَّسات الإسلاميّة للتّنشئة السِّياسيّة.

5/معرفة أهداف التّنشئة السِّياسيّة في النِّظام الإسلاميّ.

تأتي أهمية هذا الموضوع من ندرة البحوث والدِّراسات التي تطرقت إلى التأصيل الإسلاميّ في هذا المجال، ومن الأهمية الخاصة بموضوع التّنشئة السِّياسيّة وتغلغله في جميع جوانب الحياة لدى الأمم والمجتمعات. فلا توجد تنشئة

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

بدون تنشئة سياسيّة، فالتّنشئة السّياسية جزء لا يتجزأ من مفهوم التّنشئة بوجه عام. ومن لم ينشأ تنشئة سياسيّة تشوب تنشئته ثغرة خطيرة قد تنفذ إليه منها العوامل التي تؤدي إلى الانحراف والضياع. فوجوب التّنشئة السِّياسيّة وأهميتها لكونها تتكامل مع مفهوم التّنشئة بوجه عام. كما أنّها السبيل إلى تصحيح عملية التّنشئة وتقويمها حتّى تصبح كاملة لا يشوبها نقص ولا يعتريها ضعف أو خلل. أنّها ترتفع بالفرد إلى مستوى الأحداث والمسؤولية، وتُبصِّره بالواجبات الملقاة على عاتقه التي يجب عليه أن يتحمَّلها، كما تُبصِّره بإعداد نفسه الإعداد الحقيقيّ الذي يُمكِّنه من أداء رسالته نحو نفسه وأسرته ووطنه والإنسانيّة جمعاء.

المنهج المتبع في هذا الورقة هو المنهج التكامليّ الذي يجمع بين كلّ من المنهج (الاستنباطيّ) و(التاريخيّ) و(التحليليّ)، حيث اعتمد الباحث على المنهج الاستنباطيّ الأصوليّ الذي يقوم على جمع النصوص الإسلامية المتعلّقة بالظاهرة، وفهم النصوص فهماً صحيحاً، والتأكُّد من معرفة دلالة النصوص بالعودة لمراجعها الأصلية، والتمكُّن من مصادر المعرفة الإسلاميّة والدراية بها، والرجوع للتراث الإسلاميّ وآراء العلماء المسلمين وإسهامهم في موضوع الورقة، والانفتاح على الدِّراسات الأجنبيّة في هذا الموضوع والاستفادة ممَّا وصل إليه الآخرون، والاجتهاد التربويّ في تنزيل المسائل على الواقع واستخلاص النتائج التربويّة. كذلك اعتمدت الورقة على المنهج (التاريخيّ) في دراسة تطوُّر العلاقة بين التّنشئة والسِّياسة، والمنهج التحليليّ في تحليل دور مؤسسات التّنشئة السِّياسيّة وبيان خصائص التّنشئة السِّياسيّة في النِّظام الإسلاميّ.

تتألَّف هذة الورقة من المحاور التالية:

المحور الأول: أهمية التّنشئة السِّياسية.

المحور الثاني: التّنشئة كنظام جزئيّ من النِّظام الإسلاميّ.

المحور الثالث: الأُسس الفكريّة للتّنشئة في الإسلام.

المحور الرابع: مؤسَّسات التّنشئة السِّياسيّة.

المحور الخامس: أهداف التّنشئة السِّياسيّة.

اولا: أهمية التّنشئة السِّياسيّة:

للتّنشئة السِّياسيّة أهميّتها التّربويّة الملحوظة التي تتلَّخص فيما يلي:

أ. التّنشئة السِّياسيّة هي السَّبيل إلى تصحيح العمليّة التَّربويّة وتقويمها حتَّى تصبح كاملة لا يشوبها نقص ولا يعتريها ضعف أو خلل. فالتّنشئة السِّياسيّة جزء لا يتجزأ من مفهوم التّنشئة بوجه عام. ومن لم يتثقَّف سياسيّاً تشوب تنشئته ثغرة خطيرة قد تنفذ إليه منها العوامل التي تؤدِّي به إلى الانحراف والضَّياع. ومن هنا يظهر وجوب التّنشئة السِّياسيّة وأهميّتها؛ لكونها تتكامل مع مفهوم التّنشئة بوجه عام، فلا تربية بدون تنشئة سياسيّة.

ب. تُزوِّد التّنشئةُ السِّياسيّةُ المواطنَ بالوعي الشَّامل المستمر للاتّجاهات السِّياسيّة بمعناها العام على المستويْن المحليّ والعالميّ. فهي تدفع الفرد إلى مستوى الأحداث والمسؤولية، وتُبصِّره بالواجبات الملقاة على عاتقه التي يجب عليه

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

أن يتحمَّلها، كما تُبصِّره بإعداده الحقيقيّ الذي يُمكِّنه من أداء رسالته نحو نفسه وأُسرته ووطنه. هذا الوعي الذي يحول بينه وبين التَّشتُّت والضياع، وبين الانزلاق إلى القضايا الفرعيّة أو الوقوع في حبائل المتاهات، فتتبدَّد طاقته وجهوده، ويصاب بالفشل في حياته الخاصة والعامة. إنَّ لهذا الوعي الذي يتشكَّل عن طريق التّنشئة السِّياسيّة أهميّته الكبرى إلى جانب قيمة الإيجابيّة.

ج. تُمكِّن التّنشئةُ السِّياسيّةُ المواطنَ من التَّكيُّف بنجاح مع واقع مجتمعه من جميع النّواحي، ومن القيام بدوره الإيجابيّ في تحقيق الأهداف؛ وبذلك يصبح منسجماً مع المجتمع، متكاملاً مع الوضع العام. هذا التَّكيُّف الذي يؤدِّي إلى مزيدٍ من النّضج وإلى تحقيق السَّعادة الذَّاتيّة. وبذلك تكون التّنشئة السِّياسيّة وسيلة لتحقيق التَّفاعل النَّاجح بين الفرد والمجتمع لما فيه مصلحتهما معاً، وهي من أهم الوسائل التي تؤدِّي إلى تعميق الوعي، وإلى مزيدٍ من الإدراك الواقعيّ. معنى ذلك أنَّها تحمي المواطن من السّطحية في التَّفكير، ومن السَّذاجة، والتَّهوُّر، والاندفاع، وغير ذلك من الصّفات التي يتّسم بها . عادة . الهامشيّون، والبعيدون عن الممارسة، والعاجزون عن الأداء.

د. تزيد التّنشئة السِّياسيّة قدرة المواطن على التَّحليل والدَّقيق العميق، وبالتّالي تُمكِّنه من إدراك العلل الخفية لا الظَّاهرة.

هـ. تُمِدُّ التّنشئةُ السّياسيّةُ المواطنَ . وأُمّته معاً . بطوق النَّجاة. كونها تُعلّمه كيف يتلمس طريقه في حذر شديد، حتَّى يصل إلى برّ الأمان والاطمئنان. ليس معنى ذلك أنَّها تدفع به إلى عدم الإقدام؛ بل إنَّها تُعلِّمه كيف ومتى يقدم؟ فلا فائدة من الإقدام حيث يجب الإحجام، ولا فائدة من الإحجام حين يجب الإقدام. فالتّنشئة السِّياسيّة تنير البصيرة، وتوضِّح معالم الطريق، وتُحدِّد الأهداف، وتُسدِّد الخُطُوات.

و. تُكوِّن التّنشئةُ السّياسيّةُ للمواطن الخلفيّة الواقعيّة التي يستطيع على أساسها أن يبني أيدلوجيته السّياسة، وبالتالي تُمكِّنه من أن يبدأ انطلاقه على الأرض من الواقع الصّلب المتين. وتُعوِّد التّنشئةُ السّياسيّةُ المواطنَ على التّخطيط العلميّ المدروس، وتنسيق الأدوار، وتحديد من الذي يلتزم بالإمكانيّات، ويُحدِّد الممكن من الأهداف والوسائل، والذي يتابع التَّنفيذ والتَّطوير بما يكفل دائماً تحقيق الأهداف وإحراز التَّقدُّم.

ز. تسهم التّنشئة السِّياسيّة في تحقيق الاستقرار المنشود للمجتمع، ذلك الاستقرار الذي يُمكِن المجتمع من التَّفرُّغ لعلاج المشكلات وتذليل العقبات التي تحول دون البناء، وبدون الاستقرار تتبدَّد الطاقات ، وتهدر الجهود، وتتضارب الاتّجاهات، ويقع الخلل، وتحدث الفوضى.

ح. للتّنشئة السِّياسيّة أهميّتها الخاصة بالنّسبة للشّباب بالذّات؛ فالشّباب حقاً قضية أساسيّة مرتبطة بواقع المجتمع، ولا يمكن أن تنفصل حركته عن حركة المجتمع الذي يعيش فيه، وعن الواقع الذي يمر به وبمجتمعه؛ لذلك كانت التّنشئة السِّياسيّة هي التي تعين على إدراك أهمية تدعيم جبهته الخارجيّة.

ط. توسِّع التّنشئةُ السِّياسيّةُ من آفاق الأفراد، فتخلِّصهم من رواسب الماضي وإحباطاته، وتلفت أنظارهم لتفاهاته، وتُجنِّبهم التَّعصُّب اللا واعي والتَّحزُّب البغيض، وتفتح أمامهم آفاق رحبة واسعة للبذل والعطاء، وتُحدِّد الاتّجاهات القومية في التّنشئة.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

ثانيا: التّنشئة كنظام جزئيّ من النّظام الإسلاميّ:

تعتبر العلاقة بين النّظام التّنشئيّ والنّظام الإسلاميّ علاقة الجزء بالكُلّ؛ لأنَّ النّظام الإسلاميّ نظام شامل يحوي في جزئياته النّظام التّنشئيّ. وتظهر هذه العلاقة في موضوعيْن أساسيْين يُشكّلان مطالب هذا المحور، هما: النّظام الإسلاميّ تقوية للنّظام التّنشئيّ، والإطار العام للفكر الإسلاميّ والفكر التّنشئيّ الإسلاميّ.

المطلب الأول: النّظام الإسلاميّ تقوية لنظام التّنشئة:

إنَّ للإسلام دوراً تنشئيّاً في المجتمع، يتجلّى في كونه ناسجاً للإطار الفكريّ للمجتمع، ومحدّداً لمعاييرة القيميّة والأخلاقيّة، ومنظّماً لحياته الاجتماعيّة بجميع أبعادها السّياسيّة، والاقتصاديّة، والتّعليميّة، والاجتماعيّة بمعناها العام والخاص. والإسلام إذ يتحقّق به كلّ ذلك؛ فإنّما يتحقّق نتيجة له ما يلي:

أ. التّماسك الاجتماعيّ:

فوحدة الفكر الإسلاميّ وتماسك إطاره، وتحديده المعايير القيميّة والخُلُقيّة، وتنظيمه للحياة الاجتماعيّة في نطاق هذا الإطار، وفي توجيه هذه المعايير؛ إنّما يُحقّق كثيراً من الوضوح والدّعم والدّافعيّة للسُلوك البشريّ، وفقاً لقرارات واضحة حازمة، تستوحيها الجماعة من وضوح هذا الإطار ، ووضوح أحكامه لقضايا الحياة الإنسانيّة والاجتماعيّة المختلفة.

كما أنَّ وحدة الفكر وتكامل إطاره يساعدان على أن تكون استجابات النّاس في مواقف الحياة المختلفة . إلى حدّ كبير . استجابات متشابهة ومتماثلة بوجه عام، وإن كانت مختلفة . إلى حدّ ما . وَفقاً لاختلاف إمكانات البشر وقدراتهم.

كما أنَّ وحدة الإطار الفكريّ والقيميّ تُحقّق مظهراً واضحاً ومتشابهاً إلى حدَ كبير فيما يتعلّق بمفاهيم العمليّات الاجتماعيّة المختلفة، مثل: التّرابط، والتّعاون، والتّكامل، والتّنافس، وتخلق في الوقت نفسه حوافز متشابهة وأهدافاً مشتركة. وذلك كلّه يسهم في خلق الرُّوح الاجتماعيّة العامة التي تُحرّك الجماعة، وتقوّي نبضها، وتنسق إيقاع الحركة الاجتماعيّة بها، وتُنظّم سلوكها، وتطبع إدارتها بطابع خاص. ذلك كلّه يؤدي . بشكل طبيعيّ . إلى الوحدة الاجتماعيّة والتّماسك الاجتماعيّ.

ب. تحديد ملامح المجتمع وذاتيّته:

الإسلام بما يُنسجه من قيم، وما يُحدّده من معايير، وما يُضيفه من فكر، وما يُجسّده في النُّظم الاجتماعية وعناصرها من روح، وما يُشكّله من أنماط اجتماعيّة داخل هذه النُّظم الاجتماعيّة المختلفة المكوّنة للمجتمع؛ يُحدّد ذاتيّة اجتماعيّة عبقريّة معجزة، تتحدّى الأنماط الاجتماعيّة المعتادة فتقهرها، وتتغلّب على معوّقات الحياة المختلفة التي تواجهها.

ج. تكامل الشّخصيّة البشريّة:

إنَّ الشّخصيّة البشريّة إذ يتحقّق لها هذا المناخ الاجتماعيّ الإسلاميّ؛ فإنّما تخضع لعوامله ومؤثّراته الفكريّة والسُلوكيّة. وهي بذلك تنشأ وتنمو في ظلّ هذه المحدّدات الاجتماعيّة، فتنتمط وَفقاً لها، وتتفاعل معها، وتتكيّف مع عمليّاتها الاجتماعيّة المختلفة، وتكتسب نتائج خبراتها، فيتحقّق لها نمو متكامل من خلال هذه المؤثّرات المختلفة .

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

لا يتحقَّق هذا النمو بعصى سحريّة؛ وإنَّما تُحقِّقه وحدة الفكر، وتكامل المعايير والقيم وعقلانيّتها، وقياستها لمكوِّنات الطَّبيعة البشريّة وفطرتها، واتّساقها مع المنطق البشريّ والخصائص الإنسانيّة التي فطر الله النّاس عليها.

فالتَّكامل والانسجام والاتّساق الشَّخصيّ في داخل الإنسان، وبين داخل هذا الإنسان وخارجه؛ إنَّما هي نتيجة طبيعيّة لهذه المؤازرات التي تفرزها القوى التّنشئيّة الإسلاميّة.

د. نضج العلاقات الإنسانيّة:

يخلق المناخ التّنشئيّ وضوحاً في العلاقات الإنسانيّة، ويُحدِّد مساراتها ومجالاتها وأهدافها المختلفة. كما يخلق اقتناعاً عاماً بها وبتفاعلاتها، وبما تتطلَّبه هذه العلاقات وما تفرضه من سلوك.

ففي هذا المناخ التّنشئيّ تنتظم علاقات الإنسان بالإنسان من جنسه ومن الجنس الآخر، وتنتظم علاقات الإنسان بوالديه وأبنائه وجيرانه وحكّامه، كما تنتظم علاقاته بالكون وخالق الكون، وبالحياة وخالق الحياة .

في ظلّ هذا الإطار وذلك الهدف وتلك الوسائل تتحدَّد اتّجاهات التّنشئة في الإسلام. والتّنشئةالاجتماعيّة للأجيال الجديدة، كما تتحدّد بالتّالي أهداف التّنشئة المدرسيّة ووسائلها. ذلك أنَّ المدرسة هي المؤسسة التي ابتدعها المجتمع لتسهم في تربية النَّاشئة على أهداف المجتمع واتّجاهاته.

معنى ذلك أنَّ التَّنشئة في الإسلام هي المحدِّد الأساسي للإطار العام للتّنشئة المدرسيّة وأهدافها، كما أنَّ القوة التّنشئيّة هي التي تُحدِّد أنماط التّنشئة في جميع الوسائط التّنشئيّة والثّقافيّة المختلفة خارج التّنشئة المدرسيّة.

ذلك يقتضي صياغة الأهداف التّنشئيّة العامة والخاصة في ضوء إطار أهداف الفكر الإسلاميّ، وصياغة المناهج وتخطيطها بحيث تُحقِّق أهداف الإسلام، وتنسجم مع فكره ومنطلقاته وأُسسه ومبادئه، وأن تبتدع الوسائل التي تيسِّر الوصول إلى هذه الأهداف.

مع أنَّ مفاهيم الإسلام التّنشئيّة شاملة ومتكاملة ومبنية على الحقائق الصَّحيحة بشكل تتضاءل وتتواضع أمامه جميع الاجتهادات والنَّظريّات البشريّة، ومع أنَّ الاجتهادات البشريّة العلميّة الصَّحيحة . في حدّ ذاتها . تحتويها التّنشئة الإسلاميّة؛ فإنَّ تطبيق مفاهيم التّنشئيّة الإسلاميّة والمباديء القائمة عليها أنشأ مجتمعاً يعتبر أنموذجاً للمجتمعات على مرّ التاريخ ، وربما سيظلّ مثالاً تتطلَّع إليه البشريّة في كلّ عصر وفي أيّ زمان في المستقبل.

وقد عجز المعنيّون بالتّنشئة عن أن يُقدّموا هذا النموذج، ولو في شكل نظريّ مقنع من جديد، مع قوة إقناعه، ونصاعة بيانه، وسهولة ارتياده. ومن أسباب عجزهم هذا ما يلي:

1/إنّ كثيرين من أساتذة التّنشئة لم يقتربوا كثيراً من هذا المنهل الخصب للتّنشئة الإسلاميّة، ممَّا ترتَّب عليه عدم الإحساس الكامل به، وعدم تذوُّق مذاقه الحقيقيّ، ومعرفة أبعاده وأعماقه واتّجاهاته الحقيقيّة تقرُّباً وتطبيقاً. وبالتَّالي فإنَّهم لم يستطيعوا أن يدفعوا عنه كلّ فرية تقال عنه بهتاناً، ومحاولة الابتعاد عنها وعدم تبنيها.

2/إنَّ كثيراً منهم أيضاً قد تلقى عمله وفكره في إطار حياة ثقافيّة مغايرة، إمَّا شرقيّة وإمَّا غربيّة. وبالتالي فإنَّ جميع تفسيراتهم لمفاهيم الكُلّيّة والجزئيّة في الحياة قد استحدثت من معالم الحياة الغربيّة، فتكوُّن فكرتهم وإطارهم وتفسيرهم نجد ثباته من هذه المعالم القريبة.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

في الوقت الذي تعجز فيه الفئات المتّصلة بالتُّراث الإسلاميّ عن تقديم النّموذج بشكل مقنع؛ فإنّ الغرب يُقدِّم نماذجه الفكريّة بشكل جذّاب، وفي أحيان أخرى عن طريق مخاطبة النّزعات البشريّة التي سرعان ما يرى إشباعاتها الحيوانيّة من خلالها، فتنجرف في هذا التيار الفكريّ، وربما في الحياة التي يفلسفها هذا التيار الفكريّ أيضاً.

3/إنَّ هذا الفكر التّنشئيّ الإسلاميّ لم يجد ـ حتَّى الآن ـ من يُحلِّله التحليل الذي يتكافأ مع عمقه وأصالته واتّساعه وشموله وتكافله. على الرّغم من أنَّ المتشدقين قد استخرجوا منه واستفادوا كثيراً من أبعاده وأعماقه؛ فإنَّهم قد ابتعدوا بما أرسى لهم كثيراً من المفاهيم عن هذا الفكر، وعن السند له.

إنَّ الإسلام مفهوم شامل للحياة بجميع نُظُمها وأبعادها، لكنَّ البعض يحاول أن يحصره أو يحاصره في نطاق ضيِّق جدّاً، معتبراً إيّاه مجرّد صلة بين الإنسان وخالقه، وممَّا يفرض عليه بعض الفرائض الدِّينيّة التي يؤدّيها عبده.

هذه المحاولة مشوبة بعدم الفهم الواضح للإسلام، كما أنَّها تتّسم بضيق الأفق ومعاداة الفكر الإسلاميّ. ومن ثَمَّ فإنَّ مناقشة الدِّين ـ كنظام اجتماعيّ متفاعل مع النُّظم الأخرى في داخل المجتمع ـ بل أي دين في المجتمع. كما أنَّ مناقشة ما يتّسم به الإسلام يُوضِّح أنَّه نظام حاكم في المجتمع، يصيغ فكره، ويُحدِّد مساراته المختلفة، ويُحدِّد القيم لجميع النُّظم الاجتماعيّة الأخرى، ومنها النِّظام التّنشئيّ.

ثالثا: الأُسس الفكريّة للتّنشئة في الإسلام:

إنَّ تنشئة الإنسان على الفكر الإسلاميّ هي بداية في الإسلام، والفكر الإسلاميّ يتناول عقيدة الإنسان في الوجود وما بعد الوجود، كما يتناول مجموعة القيم التي تُشكِّل العلاقات الاجتماعيّة المختلفة، من علاقات اقتصاديّة، وسياسيّة، وأُسريّة، واجتماعيّة، بوجه عام.

تعتمد التّنشئة في الإسلام على بناء الإنسان على هذا الفكر الإسلاميّ بناءً عقليّاً، وروحيّاً، وجسميّاً، واجتماعيّاً، ونفسيّاً. وتعتبر أنَّ بناء الإنسان على هذا النَّحو هو أساس بناء جميع النُّظُم الاجتماعيّة: سياسيّة، واقتصاديّة، وأُسريّة، وقانونيّة، وعسكريّة، واجتماعيّة عامة، وترفيهيّة، وتربويّة. وذلك استناداً إلى البدهية التي تؤكِّد أنَّ القوّة البشريّة هي العنصر الرَّئيس في هذه النُّظُم، وعليها تُبنى جميع عناصر النُّظُم الاجتماعيّة، من: إدارة، وتنظيم، وابتداع للجانب التّكنولوجيّ في كلّ نظام، وتسييره وَفقاً لمجموعة من القيم والقواعد التي تحكم سير العمل في هذه النُّظُم، لكي تُحقِّق أهدافها وأغراضها العامة والخاصة.

في حالة المجتمعات الإسلاميّة التي ترسَّبت فيها قيم وعادات واتّجاهات ومفاهيم غير إسلاميّة؛ فإنَّ الإنسان ـ وَفقاً للمنهج الإسلاميّ في الفكر والعقيدة، والسّلوك الفرديّ والاجتماعيّ ـ يصبح المنطلق الأساس للتّنشئة الإسلاميّة، ويتبع تغيُّر الإنسان بل يوازيه تغيُّر المجتمع بما يشمله من نُظُم وعناصر، وفي هذا يقول القرآن: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ [الرعد: 11].

والإسلام إذ ينشد هذا التغيير، فإنَّما يستهدف تحرير الإنسان والمجتمع ممَّا ترسَّب فيهما، سواء في الوجدان أم العقل أم الضَّمير أم في السّلوك الفرديّ والاجتماعيّ، في محاولة جادّة لبناء إنسان متكامل، وسدّ منافذ لا تنفذ منها مفاهيم ومعتقدات وفلسفات أخرى إلى حياته ولا إلى مجتمعه من ناحية الفكر والعقيدة والوجدان والتَّشريع.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

والإسلام في بنائه الإنسان على النَّحو المذكور إنَّما يرتكز على الأُسس التَّالية:

أ. الضَّبط الاجتماعيّ للإنسان والمجتمع:

يقوم الإسلام على أساس ضبط الإنسان في المجتمع، بحيث يبني في الإنسان ضبطاً داخليّاً ذاتيّاً، وضبطاً خارجيّاً اجتماعيّاً. فالإسلام يبني في المسلم ضبطاً داخليّاً قوامه القيم والأخلاق الإسلاميّة، التي تُشكِّل ضميراً ووجداناً منسجميْن مع العقل والفطرة، يهديانه إلى الحلال والحرام، ويوجهانه بعقيدته وفكره الإسلاميّ عن الكون والحياة وطبيعة الإنسان. كما يبني فيه ضبطاً خارجيّاً يخضع به لتشريعات الإسلام وحدوده في كلّ أمور الحياة الاجتماعيّة المختلفة.

ب. تكامل الجوانب الماديّة والمعنويّة:

يُسلِّم الإسلام بأنَّ الجوانب الماديّة والمعنويّة في الحياة متكاملة، ولا يمكن أن تعمر الأرض في غياب إحدى هذه الجوانب. ولذلك فإنَّ بناءه للإنسان يشمل بناء فكره ومهاراته، وبناءه لكي يعيش حياة السِّلم وحياة الحرب، وبناءه عقائديّاً وسلوكيّاً، وبناءه جسميّاً وروحيّاً، وعقليّاً، ووجدانيّاً. ذلك كلّه من أجل أن تنمو الحياة الماديّة على يديه كما تنمو الحياة الرُّوحيّة، وتنمو الأعمال وتتقدَّم، وتنمو القيم وتزدهر، وتنمو الدُّنيا وترتقي، نشداناً للآخرة وكسباً لها .

ج. تكافؤ الفرص:

هناك مجموعة من القيم التي تُشكِّل حقوق الإنسان وواجباته في الحياة، مثل: الحُرِّيَّة، والإخاء، والمساواة، والعدل الاجتماعيّ، بموجبها يتحقَّق تكافؤ الفرص في جميع مجالات الحياة الاجتماعيّة ونظمها المختلفة.

وترتكز مباديء الحُرِّيَّة والإخاء والمساواة والعدل الاجتماعيّ في الإسلام على أساس الإمكانات البشريّة والمواهب الإنسانيّة. وهي بذلك تقضي على مفهوم (الطَّبقيّة) بالمعنى الاجتماعي، وإن كانت تُبقي على مفاهيم الغنى والفقر لكي تختبر قيم النّاس في أثناء ممارستهم للحياة، جاعلة حدود التَّصرُّف في المال تحت مظلة مفهوم «إنَّ المال لله، والإنسان مستخلف فيه»، ومن ثَمَّ فالإنسان في اختبار دائم ودائب.

ينظر الإسلام لتنمية الإمكانات البشريّة والمواهب الإنسانيّة على أنَّها سبيل للثَّروة، إذا استخدمها الإنسان في الأعمال الاقتصاديّة المختلفة وَفقاً لمعاييره وقيمه العادلة، وأنَّها سبيل للترقي الاجتماعيّ إذا نمّاها بالعلم والمعرفة والاختراع. وبالتالي سبيل لبناء المجتمع وتقدُّمه. وهذا هو حقيقة معنى الاستخلاف في الأرض.

وممَّا لا شكّ فيه أنَّ التّنشئة في الإسلام تستوعب هذه المعاني كلّها. ومن ثَمَّ فهي تستهدفها وترسم برامجها في تنشئة المجتمع وتعليمه على أساسها.

د. تنمية الذّكاء البشريّ:

لمَّا كان الإسلام ينتهج في بناء التّنشئة – نظريّاً وعمليّاً – على أساس نظرة متكاملة للإنسان والمجتمع والثّقافة فيه؛ فهو ينظر إلى الطَّبيعة البشريّة على أنَّها ذكيّة مفكِّرة، بمعنى وجود إمكانات الذّكاء البشريّ فيها بالفطرة، وأنَّ على الإنسان أن ينمّي هذا الذّكاء بالتّفكير. والتّفكير عنده ذو أسلوب علميّ قائم على التّساؤل والنَّظر والملاحظة الممعنة المدقِّقة للكون الطَّبيعيّ وللنّفس البشريّة. وهو بذلك لم يتضمَّن حُكْماً من الأحكام يشلّ حركة التَّفكير أو يُلْغِي العقل الإنسانيّ أو أمراً يواجه هذا العقل عجزاً في فهمه وحكمته وأهدافه في الحياة الاجتماعيّة التي يحياها.

وما حثَّ الإسلام للنّاس على التّفكير وطلب العلم والمعرفة والتّأمُّل في الطَّبيعة الكونيّة وفي الطَّبيعة البشريّة . ممَّا يدفع النّاس إلى تنمية الذّكاء الإنسانيّ وإلى التَّقدُّم العلميّ . إلَّا تسليم منه بالإمكانات العقليّة في الإنسان، وإدراك منه لأسلوب تنميّتها.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

إنَّ نظرة الإسلام للإنسان في قضيتيْ الخير والشرّ فيه ما يقطع بتلك النظرة المتكاملة للإنسان، وما يجعل للإدارة البشريّة المكانة الأولى في حياته، فهماً وإيماناً وعملاً. وما يجعل الذّكاء الإنسانيّ . إذا ما نما نمواً طبيعيّاً دون تقييد أو خوف . أن يدرك الحقّ من الباطل. فالإسلام لا يرى أنَّ الطَّبيعة البشريّة خيّرة بالفطرة أو شريرة بالفطرة، وإنَّما فيها إمكانات عقليّة ومعايير فطريّة، تنمو فتدرك الخير والشرّ، وفيها بذلك حُرّيَّة التَّصرُّف بالخير أو الشرّ. فإنْ فعلت خيراً فلها ثوابها، وإنْ فعلت شرّاً حقَّ عليها عقابها، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ۝٧ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ۝٨ قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ۝١٠﴾ [الشَّمس: 7-10].

بل إنَّ منهج الإسلام في تشريع فرائضه بالتدرُّج يؤكِّد تسليمه ومراعاته لهذه الطَّبيعة البشريّة، ونموها التّدرُّجيّ المستمر.

بل إنَّ الإسلام في فرضه للفرائض الدّينيّة على المسلمين ما كان يُغلِّب جانباً من جوانب الطَّبيعة البشريّة على الآخر، وما كان ليفرض ما لا يقدر عليه الإنسان، يقول الله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البقرة: 628].

في سياق هذا الأسلوب التّنشئيّ في الإسلام نجد موقفه واضحاً من الطَّبيعة الحيويّة في الإنسان، وطبيعته المفكِّرة، وطبيعته الاجتماعيّة، وطبيعته الرُّوحيّة، وطبيعته النَّفسيّة. فهو يسلم بالطَّبيعة الحيويّة، ولا يقسو عليها بالزُّهد في إشباعها، وإنَّما يقرّ مطالبها وإشباعها بكلّ ما هو مشروع، وَفقاً لدوافع الإنسان الحيويّة، ووَفقاً لعوامل الضَّبط الذاتيّ، والضَّبط الاجتماعيّ الدَّاخليّ والخارجيّ.

أمَّا بالنّسبة للذّكاء الإنسانيّ؛ فالإسلام ينظر إليه على أنَّه قادر على اكتشاف الحقيقة والوصول إلى معرفة: الصَّواب والخطأ، والحقّ والباطل، والخير والشرّ، والحلال والحرام ، لقوله ﷺ: (الحَلاَلُ بَيِّنٌ، وَالحَرَامُ بَيِّنٌ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لاَ يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ)[1].

والعقل بذلك . في ظلّ الإطار الفكريّ الإسلاميّ، والرُّوح الإسلاميّ . هو الحَكَم الفصل في قضايا الحياة والفكر. فإذا ما مارس العقل وظائفه متحرّراً من الخوف، والتَّعصُّب، والخرافة، والجمود، والفاقة؛ فيمكن للإنسان أن يرتاح إلى صدق أحكامه، وأن يطمئن إلى أنّه في مقدوره أن يصل إلى الحقيقة، لقوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَآ أَوْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ۖ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى ٱلْأَبْصَٰرُ وَلَٰكِن تَعْمَى ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِى فِى ٱلصُّدُورِ ۝٤٦﴾ [الحجّ: 46].

إنَّ الإسلام في بنائه للإنسان إنَّما يبني فيه مسؤوليته الخُلُقيّة والعقليّة والنّفسيّة والجسميّة عن سلوكه، ثُمَّ يبني فيه هذه المسؤولية من جميع تلك الجوانب عن سلوك غيره في المجتمع، وفي الحديث: (مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَراً فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِن لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ)[2].

وهذه إيجابيّة مع النّفس وإيجابيّة مع الغير، بهما يتلاحم المجتمع ويتكامل، كما يتلاحم الإنسان في داخله ويتكامل مع نفسه ومع غيره. إذ لكلّ من الفرد والمجتمع حقّ مساءلة الآخر في التقصير، ولكلٍّ منهما على بعضهما حقّ المحافظة والبقاء والاستمرار، وتحقيق أهداف كلٍّ منهما.

(1) أخرجه البخاريّ، صحيح البخاريّ، كتاب الإيمان، باب فضل من استبرأ لدينه، ج 1، ص 20.
(2) أخرجه مسلم، صحيح مسلم، كتاب الإيمان، باب بيان كون النَّهي عن المنكر من الإيمان وأنَّ الإيمان يزيد وينقص وأنَّ الأمر بالمعروف والنّهي عن المنكر واجبان، ج 1، ص 69.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

خلاصة القول: إنَّ الإسلام . بمفاهيمه ومبادئه وتشريعاته وفرائضه . يبني الإنسان ويبني المجتمع، بحيث لا ينفصل الإنسان عن مجتمعه، ولا يتمزَّق من داخله، وإنَّما يتكامل الإنسان مع مجتمعه بحيث يكونان كلاً واحداً، ويصبح الفرد والمجتمع شيئاً واحداً، الواحد هو الكُلّ بما يبني فيه من إيثار وتكافل اجتماعيّ وإخاء إنسانيّ وتماسك وجدانيّ مع أهله ومجتمعه، والكُلُّ في واحد بما يكفله هذا الكُلّ للإنسان من حياة سعيدة، ومن كرامة إنسانيّة، ومن حُرِّيَّة بشريّة، ومن إرادة حُرَّة، ومن تكافل يضمن حقوقه في الحياة الإنسانيّة الكريمة.

فالإسلام يبني في الإنسان الضَّبط الذَّاتيّ والضَّبط الاجتماعيّ، وكلا النّوعين من الضَّبط وجه لعمليّة اجتماعيّة نفسيّة عقليّة جسميّة واحدة. ويبني في الإنسان سلوكه، وهو محصلة مجموعة القوى التي تُكوِّن الشَّخصيّة البشريّة، كما أنَّه يتجسّد في: عادات، وقيم، وأعراف، وتقاليد، تنتظم بها النُّظُم الاجتماعيّة المختلفة التي تُكوِّن المجتمع الإسلاميّ. وذلك يعني أنَّ الإسلام يبني التّكامل في الشَّخصيّة البشريّة، ويُحقِّق التَّكامل في ثقافة المجتمع، ويُحقِّق التَّكامل بين الإنسان ومجتمعه.

هذا التَّكامل . سواء في داخل الفرد أم بين الفرد والمجتمع . يُحدِّد خاصيّة رئيسة من خصائص التّنشئة في الإسلام، كما يُحدِّد أبعادها، واتّجاهاتها، ومساراتها، وبرامجها، وأهدافها.

كذلك ينطلق الإسلام من مفهوم متكامل للثَّقافة بمعناها الاجتماعيّ. وإذ ينظر الإسلام هذه النَّظرة إلى الثّقافة فإنَّما يؤكِّد على العمل بجميع معانيه، بقدر تأكيده على الفكر بجميع معانيه أيضاً. ويؤكِّد على الحرب المشروعة التي تستند إلى الحقّ، وما يقدر فيه للسَّلام المؤسَّس على العدل. ويتراوح بين الأخلاق بمفهومها النّظريّ، والأخلاق بجانبها السُّلوكيّ، ويبني نفسه على علاقات اجتماعيّة ذات مضامين إنسانيّة قائمة على: الحبّ، والمودّة، والإخاء، والمساواة، والحُرِّيَّة، والتَّعاطف، والتَّآزر، والتَّعاون، والعمل الجماعيّ قدر اهتمامه بالطُّقوس الدِّينيّة.

ويؤكِّد على الاهتمام بالصّحّة والمحافظة عليها ورعايتها، وعلى الاهتمام بالجسم وتنميّته، وتنمية وظائف أعضائه ومهاراته، قدر اهتمامه بالتّنمية العقليّة، والوجدانيّة، والرُّوحيّة.

من خلال هذه النَّظرة المتكاملة للطَّبيعة البشريّة وللمجتمع وللثقافة كان منهج الإسلام وأساليبه في التَّعليم والتّنشئة، وأهدافه في بناء البشر وبناء مجتمعهم. لذلك انطلق الإسلام وانطلقت التّنشئة فيه ومفاهيمها من مسلَّمات التّوحيد؛ لتُحرِّر العقل من أوثان حجبت عنه رؤية الحقيقة، وليتحرَّر الإنسان من عبوديّته للبشر، ومن عبوديّته لغير خالقه.

فحينما يؤمن الإنسان بخالقه، ويتعرَّف عليه، ويسلمه أمره، ويدرك قدرته وهيمنته على الحياة والكون الطَّبيعيّ وما وراء الكون الطَّبيعيّ؛ فإنَّه لا يخاف إلَّا خالقه. وبذلك يحلّ الخوف من الخالق محل الخوف من المخلوق، ويتكوَّن في الإنسان أول أُسس ومباديء الضَّبط الدَّاخليّ في الإنسان وفي المجتمع. ويتمّ هذا الضَّبط الذَّاتيّ بتنشئة ذاتيّة هي أقوى ما يواجه الإنسان من معاناة. ولذلك يسمّيها الرَّسول ﷺ الجهاد الأكبر (جهاد النَّفس). وبجهاد النَّفس يصل الإنسان إلى ضبط ذاتيّ للفعل البشريّ، فتتكوَّن أخلاقه وَفقاً لمعايير عقليّة، ونفسيّة، واجتماعيّة، وجسميّة، في الطَّبيعة البشريّة.

من الاستعراض السَّابق يتبيّن أنَّ التّنشئة في الإسلام ذات مفهوم شامل متكامل، بحيث تتضاءل أمامه أكثر المفاهيم التّنشئية شمولاً واتّساعاً وتكاملاً في مجال الاجتهاد البشريّ في الرّبع الأخير من القرن العشرين. فهي تستهدف الحفاظ على حُرِّيَّة الإنسان وتنميّتها في ظلّ التّوحيد، وهي تحرص على المحافظة على فطرة الإنسان التي فطره الله

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

عليها، وتنمية القدرات العقليّة والاستعدادات والميول الفطريّة في هذه الحُرِّيَّة، وهي تحرص على بناء النَّفس وحمايتها من الفجور وتحقيق الطُّمأنينة لها وخلوصها من القلق والاضطراب في ظلّ الإيمان، وتسليم الإنسان أمره لله خالصاً بعد بذل أقصى جهد يستطيعه، وهي تحرص على بناء الخلق الإنسانيّ والضَّمير والوجدان البشريّ في ظلّ التّجرُّد والتّنشئة الرُّوحيّة، وهي تحرص على بناء الجسم الإنسانيّ والصّحّة في ظلّ العقيدة والجهاد والتَّمتُّ

رابعا: مؤسَّسات التّنشئة السِّياسيّة

إنَّ صياغة وتشكيل التّنشئة السِّياسيّة في الإسلام تقوم على عددٍ من المؤسَّسات، أهمها: الأسرة، المسجد، المدرسة، وسائل الإعلام، الأحزاب والقوى السِّياسيّة.

1. الأُسرة: يُعَدُّ البيت المسلم والأُسرة المسلمة أول مؤسَّسة اجتماعيّة يعتمدها المجتمع المسلم لتنشئة الأجيال المسلمة في المجالات كافّة؛ لأنَّ الأسرة المسلمة تقوم على تحقيق مجموعة من الأهداف، من أهمها: إقامة حدود الله، تحقيق السّكون والطمأنينة، وإنفاذ أمر رسول الله ﷺ بالإنجاب، وإرواء الحاجة الى المحبّة عند الأطفال، وصون فطرة الأطفال عن الزَّلل والانحراف. ومن خلال تحقيق هذه الأهداف يتعلَّم الأطفال مجموعة كبيرة من قيم التّنشئة السِّياسيّة وممارستها علميّاً من خلال الأُسرة(1).

إنَّ الأُسرة من التَّنظيمات الرَّئيسة التي تتحقَّق من خلالها عملية التّنشئة السِّياسيّة؛ فهي تساهم في التَّعلُّم السِّياسيّ بطُرُق مختلفة. ويبرز التَّأثير الرَّئيس للأُسرة من خلال اكتساب أفرادها توجُّهات سياسيّة أساسيّة، وتضمّن بذلك الارتباط بالنِّظام السِّياسيّ بصفة عامة، والإحساس بالانتماء للجماعات السِّياسيّة والاجتماعيّة الأخرى.

والأُسرة تؤثّر على التَّعلُّم السّياسيّ أيضاً من خلال تأثيرها على التَّوجُّهات الشّخصيّة والاجتماعيّة للفرد والتي لها علاقة وثيقة بالتَّوجُّهات السِّياسيّة، وكذلك من خلال تأثيرها على المحيط العام الذي ينمو فيه الوعي والتفكير السِّياسيّ.

فالأُسرة في وضع يُمكِّنها من التَّأثير على التَّعلُّم السِّياسيّ بصورة أكبر ممَّا تقوم به فعليّاً، فالسِّياسة لا تُمثِّل ركناً أساساً ومهمّاً لدى معظم الأُسر.

الوالدان . عادة . لا يبذلان إلَّا جهداً قليلاً لتوضيح مواقفهما أو دفع أطفالهما لاتّخاذ هذه المواقف، وغياب التَّعليم السِّياسيّ في الأُسرة يفتح الباب أمام الجماعات والتَّنظيمات الأخرى . كالمدارس والأصدقاء والتَّنظيمات الأخرى في المراحل المتقدِّمة من حياة الفرد . للتَّأثير على عمليّة التَّعلُّم السِّياسيّ.

كذلك فإنَّ تأثير الوالدين على الأبناء يستمر إلى ما بعد مرحلتيْ (الطُّفولة) و(الشَّباب)، والمراحل الأولى من العُمُر قد تُمثِّل الفترة التي يكون فيها تأثير الوالدين في أعلى مستوياته، فالاتّصال بين الوالدين والأبناء يكون قويّاً ومتكرّراً خلال المرحلة التي يُكوِّنُ فيها الجيل الجديد توجُّهاته السِّياسيّة، إلّا أنَّ الارتباطات الشَّخصيّة القويّة التي تساهم في تقوية تأثير الأُسرة لا تتوقَّف . عادة . عندما يكبر الأبناء.

الدَّور المهمّ للأُسرة يساعد كذلك على جعل التَّعلُّم السِّياسيّ عمليّة غير منتظمة وتحدث بالصُّدفة. فالأُسر . بصفة

(1) نور الدِّين محمد حميدان نصَّار، الأصول الإسلاميّة للتربية الاقتصاديّة، رسالة مقدَّمة لنيل درجة الماجستير في التربية من جامعة النّيلين، يوليو 2002م، ص 159 .

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

عامة . لا تؤدّي عمليّة التّنشئة السِّياسيّة بشكل مقصود وواعٍ، فكثير من التّعلُّم السِّياسيّ الذي يحدث في الأسرة يأتي بدون تخطيط منظَّم أو نيّة مسبقة؛ فالانتماءات الحزبيّة السِّياسيّة وغيرها من الارتباطات السِّياسية تجاه السُّلطات والعمل السِّياسيّ تتمّ تنميّتها والمواقف، ولكن ذلك كلّه يحدث كنتائج غير مقصودة لاهتمامات ونشاطات الأُسرة الأخرى.

يساهم الدَّور المهمّ الذي تلعبه الأُسرة . خاصة فيما يتعلّق بنقل الارتباطات السِّياسيّة والاجتماعيّة . في تعدُّد التَّوجيهات ووجهات النَّظر السِّياسيّة، فالأُسر تختلف بالنّسبة لتقديرها للقيادات والمؤسَّسات السِّياسيّة القائمة، والأُسر ترتبط كذلك بجماعات اجتماعيّة، واقتصاديّة، ودينيّة، وعِرْقيّة، وإقليميّة مختلفة، والتي تؤدّي . غالباً . إلى النَّظر إلى الحياة السِّياسيّة بمنظور مختلف وخاص.

نتيجة لهذه الارتباطات المتعدِّدة والمختلفة فإنَّ الأُسر تنقل اتّجاهات وتقييمات مختلفة، وبهذه الطريقة فإنَّ عمليّة التّنشئة في الأُسرة تعمل على استمراريّة الاختلافات في التَّوجيهات ووجهات النَّظر السِّياسيّة والاجتماعيّة، وتستطيع أن تبطل أو تعمل على تحييد الضُّغوط نحو مركزيّة عمليّة التّنشئة، ونحو اتّساق التَّوجيهات ووجهات النَّظر السِّياسيّة وتوافقها.

كذلك يعطي الدَّور المهمّ الذي تلعبه الأُسرة تحيُّزاً نحو اعتبار التّنشئة السِّياسيّة عمليّة محافظة. فالأُسرة . بحُكْم تركيبتها من أجيال متعدِّدة . تنزع إلى نقل التَّوجيهات من الجيل الأكبر إلى الجيل الأصغر، ونظراً لأنَّ الأطفال يميلون إلى محاكاة وتقليد النَّماذج التي يُمثّلها الوالدان، ونظراً لأنَّ الوالدين يحاولان إعادة خلق نفسيهما من خلال أطفالهم؛ فإنَّ التَّأثير بين الأجيال يعمل . غالباً . على المحافظة على الأنماط السَّائدة بدلاً من تغييرها، وبسبب هذا التَّحيُّز المحافظ فإنَّ تأثير الأُسرة في التّنشئة السِّياسيّة يعمل على وضع التَّغيُّر السَّريع والشَّامل في التَّوجيهات السِّياسيّة الجماهيريّة.

ب. المسجد: كانت الهجرة النَّبويّة الشَّريفة من مكَّة إلى المدينة إيذاناً ببلوغ مرحلة جديدة في تاريخ المسلمين في التّنشئة الإسلاميّة؛ إذ إنَّها بداية عهد الدَّولة الإسلاميّة، ومثَّلت تطوُّراً مهمّاً في مؤسَّسات التّنشئة، فكان (المسجد) الذي أصبح المؤسَّسة التَّنشئيّة الإسلاميّة التي تلازم المسلمين في أيّ مكان منذ ذلك العهد. واعتبر المسجد المكان الرَّئيس لنشر الثَّقافة الإسلاميّة، وذلك بفضل وظيفته المتسعة؛ إذ هو دار عبادة، ومعهد تعليميّ، ودار قضاء، ومنزل لاستقبال الوفود والسُّفراء، وكانت تعقد فيه حلقات العلم.

يمكن القول: إنَّ وظيفة المسجد وظيفة تربويّة عامة، وكان المنهج يدور حول تعليم النّاس أمور دينهم وعقيدتهم، وكان يدور حول الأمور العامة للحياة، فقد كان عليّ بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يصرف جهوده في المدينة لتوجيه نشاط العنصر النَّاشيء إلى النَّاحية العمليّة، فشرع مع ابن عمّه عبد الله بن عبَّاس . رضي الله عنهما . في إلقاء محاضرات أسبوعيّة في المسجد الجامع، في موضوعات: الفلسفة، المنطق، الحديث، البلاغة، والفقه. بينما تفرَّغ غيرهما إلى إلقاء محاضرات في شؤون أخرى.

لقد تبوّأ المسجد هذه المكانة لأنَّ أول مسجد أُنشيء في الإسلام أنشأه رسول الله ﷺ، وكان المنهج والفكر التَّربويّ في هذه الفترة هو القرآن الكريم، وكانت هناك طُرُق لحفظ القرآن ومدارسته، فقد كان هو ﷺ المنبع الذي دار حوله الفكر الإسلاميّ بعد ذلك، وكذلك الفكر التَّربويّ[1].

(1) علي خليل أبو العينين، أصول الفكر التربويّ الحديث بين الاتجّاه الإسلاميّ والاتجّاه التّقريبيّ (القاهرة: دار الفكر العربيّ، د. ت)، ص 122.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

هكذا اتّخذت الجماعة المسلمة المساجد معاهد للتَّعليم؛ لأنَّ التَّعليم كان . دائماً . من اختصاص الجماعة، فلم تكن دولة الخلافة أو دول السلاطين مسؤولة عن التَّعلُّم حتَّى في عصر الخلفاء الرَّاشدين، وإنَّما كان التَّعليم من اختصاص الأفراد والجماعة، فكانت الجماعة تتكفَّل بمعاش المعلمين، سواءً كانوا معلمين صغاراً . يُعلِّمون الصِّبيان القراءة والكتابة ويحفظونهم . أو شيوخاً أجلاء . يقرأون علمهم على طلابهم في المسجد في: علوم القرآن، والحديث، واللُّغة، والأدب .. وهكذا أصبحت المساجد معاهد للتَّعليم، وضمن هذا كفاءة العلماء من ناحية، وحُرِّيَّة أهل العلم من ناحية أخرى[1].

انتشرت المساجد بعد ذلك باتّساع رقعة الإسلام، وبدأ التَّطوُّر يدخل في وظيفة المسجد ومنهجه، حيث بدأت علوم أخرى . غير علوم الدِّين . تفرض نفسها على الدِّراسة في المساجد بعد سنتين أو أكثر من وفاة المعلم الأعظم، وبدأ في هذه الفترة المبكِّرة من التَّاريخ الإسلاميّ التَّأثُّر بالحضارات الأجنبيّة ونقل عناصرها إلى عاصمة الخلافة ذاتها، ومن هنا أخذ منهج المسجد يتّسع ويضمّ علوماً جديدة، فرضتها ظروف الحياة وتطوُّر المجتمع الإسلاميّ، وبدأت تلك المدرسة تتّسع وتضمّ إلى معلميها التَّقليديّين معلمين جدداً عارفين بتلك العلوم الجديدة، قادرين على تعليمها للنّاس.

ج. **المدرسة:** مرّت المدرسة كمؤسَّسة اجتماعيّة بمراحل مختلفة، وتطوَّرت في الدُّول الإسلاميّة، حيث كانت بدايتها جزءاً من نشاط المسجد، ثُمَّ أخذت صورة (الكتاتيب)، واستمرّت في التَّطوُّر، ونستطيع أن نعتبر عام (459) (2) حدّاً فاصلاً فيما يختصّ بأمكنة التَّعليم عند المسلمين. ففي هذا العام افتُتحت في (بغداد) أول مدرسة من مجموع المدارس الكثيرة المنظَّمة التي أنشأها الوزير السّلجوقيّ الشَّهير/نظام الملك.

المدرسة مؤسَّسة مهمّة من مؤسَّسات التّنشئة السِّياسيّة، فهي تقوم بتعليم الطُّلاب مختلف العلوم، التي تؤدّي إلى ارتفاع مستوى الكفاءة الشّخصيّة، كما تقوم الدِّراسة بتزويد الطُّلاب بأساسيّات ثقافة المجتمع، وتأكيد ثوابته الثَّقافيّة المستمدّة من عقيدته.

وتُعَدُّ المدرسة . بحلقاتها المختلفة . الطَّريق المؤدّي للتَّخصُّص الدَّقيق من خلال تزويد طلابها بالعلوم الأساسيّة المؤهِّلة للتَّخصُّص الجامعيّ أو العاليّ، إلى جانب أنَّ مرحلة التَّعليم في المدرسة هي مرحلة اكتساب لقيم المجتمع في جميع المجالات التي تقوم عليها أهداف التَّنشئة.

في معظم المجتمعات تقف المدرسة إلى جانب الأُسرة وجماعات الرِّفاق كأحد أهمّ قنوات التَّعليم السِّياسيّ، وفي بعض الظُّروف فإنَّ تأثيرها قد يكون أعظم من تأثير القنوات الأخرى. فالمدرسة . مثل الأُسرة . تؤثّر في الطِّفل والصّبيّ والمراهق خلال سنوات التَّكوين الأساسيّة، وعن دوره فيها. كما أنَّها تُمِدُّ الطِّفل بالتَّصوُّرات والإدراكات الفعليّة حول المؤسَّسات والعلاقات السِّياسيّة.

كذلك تنقل المدرسة القيم والتَّوجيهات التَّوافقيّة للمجتمع، ما عدا في حالة مدارس الجماعات الفرعيّة الخاصة والتَّنظيمات الشَّبابيّة المرتبطة بأحزاب سياسيّة، فإنَّ للمدرسة تأثيراً مباشراً ضئيلاً تجاه تنمية القيم الحزبيّة والولاءات للجماعات الفرعيّة.

على الرَّغم من أنَّ برامج التَّعليم السِّياسيّ هي أكثر توحيداً وأكثر قابليّة للاستقلال وأكثر تعمُّداً من تعاليم الأُسرة

(1) محمد أسعد طلس، التّربية والتَّعليم في الإسلام (بيروت: دار العلم للملايين، 1957م)، ص 54.
(2)علي خليل أبو العينين، أصول الفكر التّربويّ الحديث بين الاتّجاه الإسلاميّ والاتّجاه التّقريبيّ، مرجع سابق، ص196 .

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

وجماعات الرِّفاق؛ إلّا أنَّه لا يمكن السَّيطرة التّامّة على تأثير هذه البرامج، فوحدة البرنامج والقصد نادراً ما تعني وحدة التَّطبيق.

إنَّ الاحتمالات المرتبطة بالتّنشئة السِّياسيّة في النِّظام التَّعليميّ لأيّة دولة فيما يتمّ تعليمه، ومن يقوم بتعليمه، وأين وتحت أيّ ظروف؛ لن يكون متحرّراً أبداً من الضُّغوط السِّياسيّة والاقتصاديّة. فالمخاطر عالية جدّاً بالنّسبة لهؤلاء المسيطرين على مقاليد الأمور، بحيث لا تسمح لهم بعدم محاولة التَّأثير على من يتعلَّم، وبالذات إذا أثّر هذا التَّعلُّم في القيم السِّياسيّة الأساسيّة.

د. الأحزاب والقوى السِّياسيّة: جاء في «لسان العرب» أنَّ (الحزب) هو «النَّوبة في ورد الماء، كما جاء بمعنى الطَّائفة، والسِّلاح، والجماعة من النّاس، وكلّ قوم تشاكلت قلوبهم وأعمالهم وإنْ لم يلق بعضهم بعضاً، كما أنَّ الأحزاب هم الجمع الذين تألَّبوا على حرب رسول الله ﷺ»[1].

(الحزب السِّياسيّ) هو: (مجموعة من الأفراد مكوَّن لبناء سياسيّ، لتحقيق أهداف معيَّنة، عن طريق السُّلطة السِّياسيّة، وَفقاً للعقيدة التي تحكم سلوكه بما يتضمَّنه من سلطة وصنع القرارات).

إنَّ الأحزاب السِّياسيّة هي «أجمع للرَّأي المقرَّر من شوارد الخواطر عند شتات الأفراد، وأيسر بذلك للمناظرة والمشاورة، في مجتمع كبير يوحّده من وراء التَّشعُّب الحزبيّ، منهاج حياة، وموالاة جامعة، ودولة سلطان، لا يتعصَّب المسلم دون حزبه، ولا معه في كلِّ قضية، خطأ وغواية، أو صواباً ورشداً، ورئيس الدَّولة لا يحجب مختلف قيادات الرّعية، وعموم جمهورها الحاكم هو بالإجماع، بل يؤسِّس الدَّولة عقد واحد، ودستور يميِّز مغزى ولائها وحدود ديارها. وكلُّ هذه الكيانات والقوى المتشبِّعة في المجتمع أساسها وإطارها الأشمل الذي يوحِّدها هو الدِّين، إسلاماً لله الفرد الصَّمد، طاعة لشرعه الأعلى، إيماناً ينبت، ويُنظِّم عقود العلاقات المختلفة، ويصف شعابها صفّاً مرصوصاً، لا تقطعه عصبيّات النّسب أو تباعدات الحوار أو مفاصل الأوضاع الاجتماعيّة أو مباين الانحياز لمبتغيات الفئات الخاصة أو مفارق التَّنطُّع بالمذاهب والأحزاب المخصوصة»[2].

تقوم الأحزاب السِّياسيّة بوظائف مهمّة ومتعدّدة، منها: التَّعليميّة، والاجتماعيّة، والاقتصاديّة، والثَّقافيّة، والسِّياسيّة. لكن أهمّ هذه الوظائف هي كالتّالي:

1/ تزويد النّاخبين ببدائل برامجيّة للسِّياسة العامة، ولا تمام ذلك بالتَّجميع، وتحديد العديد من الاختبارات، حتَّى يكون اختيار النَّاخب محدّداً.

2/ تقوم بتنظيم المناقشات، وبيان وجهات نظر كلّ فئةٍ من فئات المجتمع السِّياسيّ؛ فهي تقوم بمصالح المواطن فيما يتّصل منها بالشُّؤون العامة.

3/ كذلك تعريف المواطنين بكيفيّة تقييم المرشحين، وما يتّسق من قوانين ولوائح، وبالتّالي تعتبر عناصر فعليّة تزوِّد المواطن بمعرفة الأمور السِّياسيّة.

(1) انظر: ابن منظور، لسان العرب، ط/ 3 (بيروت: دار صادر، 1414 هـ)، ج 1، ص 309.
(2) حسن عبد الله التّرابّي، السِّياسة والحُكْم، (بيروت: دار السّاقيّ، 2003م)، ص 186.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

و. وسائل الإعلام: وسائل الاتّصال الجماهيريّة هي: (الوسائل التي يتمّ من خلالها نقل الأفكار والآراء والمعلومات الاجتماعيّة والاقتصاديّة والسِّياسيّة والعلميّة والثَّقافيّة وغيرها إلى عدد كبير من الأفراد المستقبلين الموجودين في مختلف الأرجاء). وتشمل هذه الوسائل: الصُّحف، المذياع (الرّاديو)، التِّلفاز (التّلفزيون)، والشّبكة الدَّوليّة للمعلومات (الإنترنت) ... إلخ .

تُعَدُّ وسائل الإعلام أداة مهمّة للتَّنشئة بصفة عامة والتّنشئة السِّياسيّة بصفة خاصة، حيث يسود اعتقاد بأنَّه توجد علاقة إيجابيّة بين ما تبثّه وسائل الإعلام، وبين ما يعتقد الجمهور أنّه مهمّ، ممَّا يجعل للجماهير دور في عمليّة المشاركة السِّياسيّة[1].

يمكن لوسائل الإعلام الجماهيريّ أن تنشر مواد متعارضة، وبالتالي يكون لها تأثيرات متعارضة. وهذه الوسائل التي تشمل عدّة أنواع من الوسائل تؤثّر على التَّوجيهات السِّياسيّة، حيث يتمّ تقييم الأحداث، وتنتقل المعلومات من الحكومة إلى المواطن، ومن جماعة إلى أخرى، ومن فرد إلى آخر، والدَّولة القوميّة تقدَّمت وتطوَّرت بفعل هذا التَّقدُّم التّقنيّ في وسائل الإعلام، ومن خلال هذه الوسائل تستطيع الدَّولة نقل المجتمعات التَّقليديّة نحو الحداثة والتَّكامل السِّياسيّ.

فيما يتعلَّق بدور وسائل الإعلام في عمليّة التَّنشئة السِّياسيّة فإنَّ هذه الوسائل تصبح من الأهمية بمكان في هذا الشَّأن؛ وذلك لتأثيرها البالغ على الإنسان منذ طفولته الباكرة وحتَّى نهاية عُمُره، حيث يبدأ الفرد في مصاحبة هذه الوسائل منذ سنّ الثَّالثة . تقريباً . وحتَّى نهاية العُمُر . فالحزب . مثلاً . يبدأ في جذب الفرد في بداية مرحلة الشَّباب، والمدرسة تقوم بدورها في عمليّة التّنشئة عند بلوغ سنّ السّادسة[2].

رغم الاعتقاد السَّائد بأنَّ لوسائل الاتّصال دوراً ثانويّاً في عمليّة التّنشئة فإنَّ تأثير هذه الوسائل في سلوك النّاس يبدو واضحاً في عمليّة التَّعلُّم في الطُّفولة والكبر، وإذا أخذنا في الحسبان الوقت الذي يقضيه الصِّغار أمام شاشات التِّلفاز فإنّ الاحتمالات تصبح كبيرة بالنّسبة لتأثير وسائل الإعلام في مجال التّنشئة السِّياسيّة. فالأطفال في معظم الدُّول المتقدِّمة وكثير من الدُّول النّامية يمضون ساعات طويلة . حوالي عشرين ساعة أسبوعياً . أمام التِّلفاز الذي يقوم بنقل التَّعاليم الاجتماعيّة[3].

عند تقييم وسائل الاتّصال الجماهيريّ كأداة للتّنشئة السِّياسيّة فإنَّ هناك أربع ملاحظات:

1/ في أغلب الأحيان تقوم وسائل الإعلام بدور النَّاقل لمؤشِّرات سياسيّة نشأت وانطلقت من خلال مؤسَّسات التَّنشئة الأخرى.

2/ وسائل الإعلام عادة ما تُعزِّز توجيهات سياسيّة قائمة بدلاً من تكوين توجيهات جديدة.

---

(1) بسيوني حمادة، دور وسائل الاتّصال في صنع القرارات في الوطن العربيّ، (القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 1992م)، ص 18.

(2) إسماعيل علي سعد، أصول علم الاجتماع السِّياسيّ (القاهرة: دار المعرفة الجامعيّة، 1978 م)، ص50 .

(3) موريس دفرجية، علم اجتماع السِّياسة؛ ترجمة سليم حداد (بيروت: المؤسَّسة الجامعيّة للدِّراسات والنَّشر والتَّوزيع، 1991م)، ص 160.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

3/ وسائل الإعلام يتمّ استقبالها في محيط اجتماعيّ، وفي إطار ميول ونزعات محدَّدة اجتماعيّاً.

4/ المعلومات التي تحملها وسائل الإعلام تنتقل من خلال مرحلتين أو خُطُوتين، وذلك عن طريق الذين يتابعون هذه الوسائل إلى الذين لا يتابعونها.

أشارت بعض الدِّراسات إلى أنَّ أهمّ وظائف وسائل الإعلام يتمثّل في قيامها بتنشئة الأفراد، حيث يؤكِّد «هارلود لاسويل» أنَّ لوسائل الإعلام ثلاث وظائف رئيسة، هي: متابعة ما يجري في العالم من أحداث، ثُمَّ تحليل هذه الأحداث، ثُمَّ تربية الأفراد داخل الإطار الثَّقافيّ. هذه الوظائف جميعاً تخدم عملية التّنشئة.

من جانبه يؤكِّد «كلاير» على أهمية الإعلام للتّنشئة السِّياسيّة بقوله: «إنَّ عمليّة التّربية السِّياسيّة سوف تتعرَّض للاختفاء اذا اختفت وسائل الإعلام الجماهيريّ، وإنَّ المعرفة السِّياسيّة هي محصلة للاتّصال الجماهيريّ»(1).

تعمل وسائل الإعلام على توحيد اهتمامات الجماهير بمشكلات سياسيّة محدَّدة وتهييء المناخ الإعلاميّ الذي يناقش عمليّة التّنشئة السِّياسيّة والاجتماعيّة، وأيضاً تعمل على تكوين رأي صائب من خلال توعية الجماهير، ومدّهم بالمعلومات الصَّحيحة، كما أنَّها تقوم بإيجاد طرائق جديدة للمهتمين بالرَّأي العام.

خامسا: أهداف التّنشئة السِّياسيّة

إنّ هناك ضرورة ملحة إلى صياغة أهداف تربويّة محدَّدة تتّصف بالأصالة والمعاصرة على وجه السواء، فما زالت النُّظُم والمؤسَّسات التّربويّة القائمة في الأقطار العربيّة والإسلاميّة تعاني في هذا المجال من أمرين اثنين:

الأمر الأول: أنَّ النُّظُم والمؤسَّسات التّربويّة التي أُنشئت في هذه الأقطار على النّمطيْن الأوروبيّ والأمريكيّ ما زالت مغتربة ثقافيّاً وتربويّاً في هاتين القارّتين، وهي في هذا الاغتراب والتّقليد لديها . دائماً . فجوة تربويّة واسعة بينها وبين النُّظُم التي تقلّدها التّقليد نفسه.

الأمر الثاني: أنَّ المؤسَّسات والإدارات التّربويّة القائمة في الأقطار العربيّة والإسلاميّة تلقن هذه الأهداف التّربويّة المستوردة تلقيناً يُشْبِه تلقين النُّصوص المقدَّسة وتتجاهل الظُّروف الاجتماعيّة والصّحّيّة والرّحلة الحضاريّة التي صاحبت هذه الأهداف في مواطن نشأتها، وهي تهمل تحليل الدَّوافع التي رافقت استيراد هذه الأهداف والنَّتائج التي تولَّدت عن هذا الاستيراد، ولا تدري شيئاً عن المراجعات الجارية لهذه الأهداف عند أهلها وواضعيها(2).

في مجال التّنشئة السِّياسيّة في الإسلام لا بُدَّ من تحقيق بعض الأهداف التي من أهمها: تحقيق الحاكمية لله ، تطبيق الشُّورى بين النّاس، بسط الحُرِّيَّات، نشر العدالة ، تحقيق الطَّاعة والمسؤولية بين الحاكم والمحكوم.

1. تحقيق الحاكميّة لله: مقصود هذا الهدف أنَّ الحاكم هو الله، وهو المقوّم الأول للنِّظام السِّياسيّ في الإسلام؛ ذلك لأنَّه نظام من وضع الله، ربانيّ القبلة والاتّجاه، وليس من وضع البشر، قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلۡمُلۡكِ تُؤۡتِي ٱلۡمُلۡكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلۡمُلۡكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُۖ بِيَدِكَ ٱلۡخَيۡرُۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ﴿٢٦﴾ ﴾ [آل عمران: 26]،

(1) محمد ياسر شرف، مُقَدِّمَة لوعيّ إعلاميّ (الخرطوم: دار المسار، 1998 م)، ص 22.
(2) ماجد عرسان الكيلانّي، أهداف التّربية الإسلاميّة في تربية الفرد وإخراج الأُمّة وتنمية الأُخوة الإنسانيّة (القاهرة: المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، 1997م)، ص 46.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۚ أَمَرَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٤٠﴾ [يوسف: 40]، وقال تعالى: ﴿إِنِ ٱلۡحُكۡمُ إِلَّا لِلَّهِۖ يَقُصُّ ٱلۡحَقَّۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰصِلِينَ ٥٧﴾ [الأنعام: 57]، وقال تعالى: ﴿أَفَحُكۡمَ ٱلۡجَٰهِلِيَّةِ يَبۡغُونَۚ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ حُكۡمٗا لِّقَوۡمٖ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة: 50].

وهذا الحكم موجود ومتضمّن في كتاب الله تعالى وفي السُّنَّة الصَّحيحة التي بيَّنها الرَّسول ﷺ في حياته. وهذان هما الأصلان الحاكمان، وهما المحجة البيضاء. ومن بعد الرسول ﷺ قام الخلفاء الرَّاشدون ببيان حُكْم الله، مستنبطين ذلك من الكتاب والسُّنَّة ومن عمل الرَّسول ﷺ ومن سياساته التي وضعها في دولة المدينة، ومن الرُّوح التي كانت تسري في الحياة الإسلامية وفعالياتها المختلفة على الأصعدة كافة، ومن العلاقات الكثيفة التي كانت تقوم بين الحاكم وجمهور المسلمين وأُسس تلك العلاقات، ممَّا جاء في الكتاب العزيز وحدَّده واقعيّاً عمل الرَّسول ﷺ وأفعاله وأقواله وتقريراته، وكذلك مشاركة العلماء والوزراء وكافة الأُمّة مشاركة فعَّالة، بالتّلقي والطَّاعة والتَّنفيذ، وإبداء الرَّأي والمشورة، وبذل الولاء والنُّصرة والجهاد في سبيل تمكين دين الله في الأرض، وإنفاذ أمره وحُكْمه على النّاس كافة وعلى الكون عامة، قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةٗ لِّلنَّاسِ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [سبأ: 28].

من بعد الرَّسول الكريم ﷺ ومن بعد الخلفاء الرَّاشدين فإنَّ من واجب أولي الأمر . الولاة وعلماء الأُمّة وأهل الحل والعقد . بيان حُكْم الله وإنفاذه. والمؤمنون من عامة النّاس وأجهزة الدَّولة كلها تتعاون لإنفاذ أمر الله وطاعته.

في النِّظام الإسلاميّ لا نقول: السّيادة للأُمّة، فالسّيادة لله؛ لأن السّيادة فرع من الحاكميّة.. ولكن نقول: إنَّ الأُمّة في مجموعها هي خليفة الله في أرضه، وإرادة الأُمّة واختيارها إذا جاءا موافقيْن اللكتاب والسُّنَّة (الأصلين الحاكمين)؛ فإنَّ هذه الإرادة وهذا الاختيار يُجسّدان حُكْم الله في الأرض وحاكميته بين النّاس. وإجماع الأُمّة واجتهادها أصل من أصول الفقه الإسلاميّ، وإرادة الأُمّة المسلمة ومشيئتها واختيارها إذا جاءت موافقة للكتاب والسُّنَّة فهي من قدر الله ومن إرادته.

إنَّ الأُمّة هي خليفة الله في أرضه، تمارس الحُكْم بالوكالة عن الله عزّ وجلّ، مهتدية ومنقادة لكتابه ولسُنَّة نبيّه. لكن الأُمّة لا تستطيع أن تمارس الحُكْم الشُّوريّ الدّستوريّ ولا الحُكْم التّنفيذيّ مجتمعة، لكنها تشارك في ذلك إمَّا بمشاركة بعضها أو كلّها في عمليّة اختيار الحاكم، وفي عمليّة الشُّورى، وحتَّى في استنباط الأحكام ما استطاعت إلى ذلك سبيلاً، غير أنَّها . في معظم الأحوال . تعتمد على عناصر من أبنائها . من أولى العلم والحكمة والقوّة الفاعلة في شتَّى ضروب الحياة . فتختار كوكبة منهم لممارسة الحُكْم في المجالات كلّها: الدّستوريّ، التّشريعيّ، الشُّوريّ، التّنفيذيّ، السّلطويّ، والقضائيّ[1].

ب. تطبيق الشُّورى: الشُّورى اشتراك في الرَّأيّ، وهي نقيض الطُّغيان، حيث يستأثر فرد بالرَّأي وبالحُكْم ، ويستبدّ به، ويمنع الآخرين من المشاركة أو حتَّى التعبير عن الرَّأي الآخر. والشُّورى . بمعناها هذا . تفترض إيمان الذين يمارسونها بمنظومة من القيم الأخلاقيّة، والمُثُل العليا، يمكن الإشارة إليها فيما يلي:

1/الإيمان بأنَّ النّاس سواسيّة كأسنان المشط، لهم حقوق وواجبات متساوية فيما يتعلَّق بوضعيّتهم كبشر، (لَا فَضْلَ

(1) هشام أحمد عوض جعفر، الأبعاد السِّياسيّة لمفهوم الحاكميّة، (هيرندن: المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، 1995م)، ص 84.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ، وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ، وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى)[1]. فهذه هي المساواة الإنسانية في الأصل والمنشأ، وفي الكرامة الإنسانيّة (أَنْتُمْ بَنُو آدَمَ وَآدَمُ مِنْ تُرَابٍ)[2].

2/ لكلّ إنسان الحقّ في تكوين آرائه والتّعبير عنها بحُرِّيَّة، وله الحقّ في أن يُسْمِع آراءه للآخرين، كما له أن يستمع إلى الآخرين، وأن يتعرَّف على الأخبار والحقائق والمعلومات.

3/ ليس لأحد أن يدّعي أنَّ رأيه دائماً هو الأفضل أو أنَّه معصوم من الخطأ، بل الكُلّ يخضع رأيه . برضا وسماحة . للبحث والتّمحيص والمداولة والنّقد، فكلُّ رأي . مهما كان صاحبه علميّاً . هو في البداية مجرّد وجهة نظر، حتَّى يثبت أنّه الصَّواب وأنَّه الحقّ، بالتَّمحيص والبحث والنَّظر المفتوح لكلّ من يهمهم الأمر.

4/ لا تستقيم الشُّورى في الإسلام إلّا إذا رضي جميع المسلمين أنَّ الحُكْم لله ورسوله ، فمهما شجر من خلاف فلا بُدَّ من تحكيم الكتاب العزيز، ولا بُدَّ من تحكيم السُّنَّة الصَّحيحة ، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النُّور : 51]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النِّساء: 59]. فلا بُدّ من ردّ كلّ خلاف وكلّ تباين في الرَّأي إلى الله ورسوله وإلى أولي الأمر من العلماء الذين يقدرون على استنباط الأحكام من أصولها الشَّرعيّة (القرآن والسُّنَّة) والمصادر الأخرى الثَّانوية كـ (الإجماع) . إن وجد . والقياس.

5/ لا بُدَّ أن يقبل الجميع بمبدأ المحاسبة والمراجعة، وحتَّى المساءلة عن الرأي، ما هي شواهده وبيّناته؟ ما هي أدلّته وبراهينه؟ فلا يقبل في الإسلام . وهو الدِّين الذي يقوم على كتاب لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه . أن يطلق النّاس آراءهم وأفكارهم على نحو عشوائيّ أو تعسُّفيّ أو على أساس مجرَّد الرَّغبة في الكلام والتَّشدُّق بالآراء، بل لا بُدَّ من العلميّة والتزام العقل وأحكامه، والتّناسق مع الحقائق الموضوعيّة العلميّة، ومهما قال شخص برأي فلا بُدّ أن يكون مستعداً لكي يراجعه الآخرون في هذا الرَّأي، وأن يكون على استعداد . كذلك . لإظهار ما عنده من أدلّة وبراهين علميّة رصينة.

هذه بعض القيم والمباديء التي يفترضها نظام الشُّورى في الإسلام.

حتميّة الشُّورى وإلزاميّتها في الإسلام تأتي من طبيعة الإسلام نفسه، أنَّه يردّ كلّ شيء إلى الله. فالأمر كلّه لله، والمؤمن حياته وموته لله، وماله لله، ووقته لله، وكذلك الحُكْم والسُّلطة، فلا بُدَّ من إسلامها لله.

كما أنَّ المال لله، ولا يمكن أن يكون دُولة بين القلّة، ناهيك أن يحتكره كلّه فرد واحد؛ فكذلك السُّلطة، يَحْرُم في الإسلام أن تكون رهناً لقلّة مستبدّة بها دون المؤمنين، ناهيك أن تكون حكراً لفرد واحد منهم، مهما أوتي من العلم والقدرة والسُّلطان. فلا بُدّ إذاً أن تكون السُّلطة . كما هو الحال في المال وفي كلّ قيمة من قيم الحياة . مشاركة بين جميع المؤمنين، وألّا تكون دُولة بين نفر قليل من الحُكَّام.

(1) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، باقي مسند الأنصار، حديث رجل من أصحاب النَبيّ ﷺ، برقم 23489، ج 38، ص 474.
(2) أخرجه أبو داود في سُننه، كتاب الأدب، باب في التّفاخر بالأحساب، برقم 5118، ج 4، ص 492 .

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

إنَّ الهدف من السُّلطة أو الحُكْم هو تحقيق مقاصد الدِّين، ومنها تحقيق العبوديّة لله، بمعنى ألّا يتّخذ النّاس بعضهم بعضاً أرباباً من دون الله. والحاكم المستبدّ هو طاغوت يشارك المولى عزّ وجلّ في حاكميّته، وهذا ممَّا يُحرِّمه الإسلام.

ممَّا تقدَّم كلّه يتّضح أنَّ الشُّورى نظام للحُكْم ينسجم كُلّيّة مع مقاصد الدِّين الكُلّيّة ومع طبيعة الحُكْم نفسه، وينسجم كذلك مع وظيفة الدَّولة وإدارة شؤونها. ولقد تقرر . بنصوص مُحْكَمَة . أنَّ الحُكْم في الإسلام يجري على الشورى والمشاركة، وتحريم الاستبداد والطُّغيان السِّياسيّ، حيث جاء في ذلك:

1/قوله تعالى: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي ٱلْأَمْرِ﴾ [آل عمران: 159].

2/قوله تعالى: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾ [الشُّورى: 38].

3/وعن عليّ بن أبي طالب ﷺ قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ!! الأَمْرُ يَنْزِلُ بِنَّا بَعْدَكَ لِمْ يَنْزِل بِهِ القُرْآنُ وَلِمْ نَسْمَع فِيهِ مِنَكَ شَيْئاً؟ قَالَ: (اجْمَعُوا لَهُ الْعَالَمِينَ . أَوْ قَال الْعَابِدِينَ . مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، فَاجْعَلُوهُ شُورَى بَيْنَكُمْ، وَلَا تَقْضُوا فِيهِ بِرَأْيٍ وَاحِدٍ)[1].

4/وقول عمر ﷺ: «لا خلافة إلّا عن مشورة»[2].

5/ورُوِيَ عن أبي هريرة ﷺ أنَّه قال: «مَارَأَيْتُ أَحَداً أَكْثَرَ مَشُورَةً لِأَصْحَابِهِ مِنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ»[3].

والشُّورى ملزمة للحاكم، أي أنَّ ما يتمخَّض عنه مجلس شورى المسلمين من قرارات تكون ملزمة التَّنفيذ للحاكم، ليس له أن يتجاهلها أو أن يُعدِّل في مضمونها أو أن يخرجها عن أصلها، وإلّا صارت الشُّورى صوريّة شكليّة، وانقلب الأمر استبداداً.

إنَّ الأُمّة المسلمة متروك لها أن تُطبِّق الشُّورى بما لا يخرجها عن معناها الجوهريّ، وبما لا يجعلها جامدة على أشكال معيَّنة قد يتجاوزها العصر والزَّمن والتَّطوُّر العلميّ والسِّياسيّ والحضاريّ والتّنشئيّ.

تُعَدُّ الشُّورى في الإسلام فلسفة كاملة للحياة، لذلك فهي تُمثِّل مستويات الحياة كلّها. فعلى مستوى الأفراد والجماعات الصغيرة . كالأسرة والجماعة والرَّابطة . فإنَّ الشُّورى هي تبادل الرَّأي في حُرِّيَّة وسماحة، دون تعسُّف أو قهر أو كبت، وهي تقديم الرَّأي وبذل النُّصح بروح موضوعيّة تبتغي الحقّ والعدل. وعلى مستوى عامة المسلمين تكون بالاستفتاء والبيعة العامة والقبول والرِّضا. وفي العصر الحديث تكون بالانتخابات المباشرة الحُرَّة النَّزيهة وبالانتخابات التَّصاعديّة. وعلى مستوى الخاصة تمارسها المجالس المتخصِّصة والنّيابيّة والمهنيّة، وهم (أهل الاختيار) . كما أسماهم الماورديّ .؛ وذلك لأنَّهم يختارون الحُكَّام والولاة والأئمة والخلفاء، وهم يُسمّون كذلك (أهل الحلّ والعقد)؛ لأنَّهم يتّخذون القرارات نيابة عن الأُمّة التي تعطيهم تفويضاً بذلك، وإلّا فلا شرعيّة لهم دون هذا التّفويض[4].

(1) أخرجه المتقي الهنديّ في كنز العُمّال في سُنن الأقوال والأفعال، كتاب الأذكار من قسم الأفعال، باب في القرآن، برقم 4188، ج 2، ص 339. وانظر: ابن القيم، إعلام الموقّعين عن ربّ العالمين، ط/ 1، (بيروت: دارالكتب العلميّة، 1411هـ-1991م)، ج 1، ص 52.

(2) أخرجه النَّسائيّ في السُّنن الكبرى، كتاب الرَّجم، باب تثبيت الرَّجم، برقم 7151، ج 4، ص 272.

(3) أخرجه الترّمذيّ في سُننه، كتاب الجهاد، باب ما جاء في المشورة، برقم 1714، ج 4، ص 213.

(4) زكريا بشير إمام، مدخل النَّظريّة السِّياسيّة في القرآن الكريم (الخرطوم: دار هزبرا للنَّشر، 1999م)، ص 90.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

فلا بُدَّ للشُّورى من كلّ هذه المستويات من إجراءات وضوابط، وأحكام ولوائح، لم يأتِ بيانها لا في القرآن ولا حتَّى السُّنَّة، وإن جاءت سُنَّة المصطفى ﷺ وممارسته بمثابة سوابق ودستور يُحْتَذَى ويُهْتَدَى به إلى نهايته. لكن هذه الإجراءات لا نهاية لها؛ لأنّها متجدِّدة ومتغيّرة، فكيف تكون ممارسة الشُّورى على مستوى عامة النّاس؟ وكيف تكون على مستوى المجالس وخاصة النّاس؟ وكيف تكون الشُّورى بين الأفراد والمنظَّمات والأجهزة الحاكمة والمصالح والوزارات والهيئات والشِّركات وكلّ كيانات الحُكْم والتَّقرير في الدُّول المسلمة؟

هذه أسئلة لايمكن لأحد يدّعي أنَّه يملك الكلمة الأخيرة فيها؛ لأنَّها . بطبيعتها . متغيّرة ومتبدِّلة، ولا يمكن لها أن تتجمَّد على أشكال محدَّدة. فإنَّ ذلك ممَّا يتناقض وخالديّة الإسلام وخلود شريعته على مرّ الدُّهور والأيّام.

بالرّغم من هذا؛ فإنَّ الأمر مقيَّد بروح الإسلام، وبالمعنى الطّبيعيّ لعمليّة الشُّورى. وهذا مقيّد . كذلك . بالممارسة العمليّة للحُكْم في عهد الرَّسول ﷺ وفي عهود الخلفاء الرَّاشدين.

خلاصة القول: إنَّ الإسلام قد اعتنى بموضوع الشُّورى كهدف من أهداف التّنشئة السِّياسيّة في الإسلام عناية كبيرة يتّضح ذلك . بجلاء . فيما قصَّه الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز من قصّة إبراهيم عليه السلام مع ابنه إسماعيل عليه السلام، فرغم أنَّ الله قد أمره بذبحه في الرُّؤيا المناميّة . ورؤى الأنبياء حقّ .؛ ما كان من إبراهيم عليه السلام إلّا أن شاور ابنه إسماعيل في ذلك الأمر، رغم أنّه أمر ربانيّ، فقال فيما يحكيه عنه ربّه: ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢ ﴾ [الصّافات: 102].

(السِّياسة العادلة) . كما يُعرِّفها علماء الفقه الإسلاميّ . هي: (الأحكام والتَّصرُّفات التي تُعْنَى بإسعاد الأُمّة، وتعمل على تحقيق مصالحها وَفقاً لمباديء الشَّريعة وأصولها العامة، غير متأثِّرة بالأهواء والشَّهَوات).

المتتبع لكتابات كبار الفقهاء يجد أحد كبار الأئمة . الإمام ابن القيم . لا يضع في تعريفها ذلك الشّرط الذي سبقت الإشارة إليه (أن تكون وَفقاً لمباديء الشريعة ومن أصولها العامة)، إذ إنَّه يرى أنَّ السِّياسة العادلة لا يمكن أن تكون مخالفة للشَّريعة، فحيث تكون العدالة يكون الشرع؛ لأنَّها جزء منه، حيث يقول ابن القيم: «إنَّ الله أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم النّاس بالقسط، وهو العدل، الذي قامت به الأرض والسَّماوات فإذا ظهرت أمارات العدل وأسفر وجهه بأيّ طريق كان؛ فثَمَّ شرع الله ودينه، فلا يقال إنَّ السِّياسة العادلة مخالفة لما نطق به الشرع، بل هي موافقة لما جاء به، بل هي جزء من أجزائه»[1].

للعدالة في الإسلام أهمية بالغة بحسبانها مبدأ من المباديء التي يقوم عليها نظام الحُكْم فيه، ومن ذلك الدَّلائل والاعتبارات التّاليّة:

1. ورود العديد من الآيات التي تحثّ على الأخذ بالعدالة، لا بحسبانها مجرّد فضيلة من الفضائل؛ بل لكونها . كما يقول الإمام ابن القيم . جزءاً من الشَّرع أو الدِّين، يكون حيث تكون، نذكر من تلك الآيات: قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ ﴾ [النَّحل: 90]، وقوله: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ

(1) عبد الحميد متولي، مباديء نظام الحُكْم في الإسلام (القاهرة: دار المعارف، 1959م)، ص 691.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ ﴾ [النِّساء: 135].

ففي هذه النُّصوص القرآنيّة يأمر الله تعالى بالمبالغة في القيام بالقسط وهو العدل، فإنَّ تضعيف الواو في قوله ﴿قَوَّٰمِينَ ﴾ صيغة مبالغة . كما هو معلوم .. ومن الآيات أيضاً قوله تعالى: ﴿ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ [النِّساء: 58]، وقوله تعالى: ﴿وَإِن حَكَمۡتَ فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِٱلۡقِسۡطِۖ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلۡمُقۡسِطِينَ ٤٢ ﴾ [المائدة: 42]. وهناك غير هذه الآيات كثير.

2. اتّفاق علماء الفقه الإسلاميّ على أنّ العدالة تُعَدُّ شرطاً من الشُّروط التي ينبغي توافرها في الإمام أو الحاكم، ومن الأحاديث التي رواها التّرمذيّ قول الرَّسول ﷺ: (إِنَّ أَحَبَّ النَّاسِ إِلَى اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَدْنَاهُمْ مِنْهُ مَجْلِساً إِمَامٌ عَادِلٌ)[1].

3. ما ذهبت إليه العدالة في الإسلام من مدى بعيد، أبعد ممَّا عُرِفَ في أيّة شريعة أخرى من الشَّرائع السَّماويّة أو الوضعيّة، إذ نجد القرآن يحثّ على العدالة حتَّى ضدّ النَّفس، أي ضدّ المرء ذاته، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ ۞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُواْ قَوَّٰمِينَ بِٱلۡقِسۡطِ شُهَدَآءَ لِلَّهِ وَلَوۡ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَوِ ٱلۡوَٰلِدَيۡنِ وَٱلۡأَقۡرَبِينَۚ ﴾ [النِّساء: 135] فإنَّ الله يأمر في هذه الآية أن يكون النّاس عادلين حتَّى ولو جاء ذلك العدل ضدّ أنفسهم أو الوالدين أو ذوي القربى. كذلك العدالة تكون حتَّى مع الأعداء، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ عَلَىٰٓ أَلَّا تَعۡدِلُواْۚ ﴾ [المائدة: 8]، فقوله: ﴿وَلَا يَجۡرِمَنَّكُمۡ ﴾ معناه ولا يحملنَّكم، و﴿شَنَـَٔانُ قَوۡمٍ ﴾ أي بغضهم وعداوتهم. ومن الأحاديث التي رُويت عن الرَّسول ﷺ في هذا الشَّأن قوله: (مَنْ آذَى ذِمِّيّاً فَأَنَا خَصْمُهُ)[2].

ولذلك فقد اشتهر العرب المسلمون في صدر الإسلام بالعدالة والتّسامح بين طوائف المسيحيّة في البلاد التي كانت خاضعة للرّومان، وذلك ما اعترف به الباحثون والعلماء الغربيّون أنفسهم.

الإسلام لا يتطلَّب العدالة من رجال القضاء فحسب . كما قد يظنّ البعض .، بل هي مفروضة على كلّ من يملك سلطة أيّاً كانت، وأيّاً كان قدرها وكان مقدارها، ذلك هو ما يُفسّر به المفسّرون الآية الكريمة: ﴿وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ ﴾ [النِّساء: 58].

كذلك أوجب القرآن على الحُكَّام التزام العدالة حتَّى مع الأعداء. ولذلك فممَّا تشمله العدالة . فيما يرى بعض علماء الفقه الإسلاميّ . أن يقوم الإمام أو الحاكم بتولية المهام أو المناصب أصلح الأفراد للقيام بأعبائها.

(العدل) عنوان الإسلام البارز، فالأحكام الشَّرعيّة هي العدل ، والعدل هو الشَّريعة الإسلاميّة، فلا تميل القواعد القانونيّة الشَّرعية إلى جانب الحاكم ضدّ مصالح المحكوم، ولا تُعْطِي الرِّجال حقوقاً وتظلم النِّساء، ولا يمكن أن تُخْطِيء جريمة المقدار المناسب لها؛ لأنَّ واضعها هو الله تعالى الذي يتّصف بالعلم المطلق الشَّامل سبحانه وتعالى. والحاكم العادل هو الذي يتّبع أمر الله تعالى بوضع كلّ شيء في موضعه الملائم من غير إفراط ولا تفريط.

(1) أخرجه التّرمذيّ في سُننه، كتاب الأحكام، باب ما جاء في الإمام العادل، برقم 1329، ج 3، ص 617.
(2) أخرجه المتقي الهنديّ في كنز العُمّال في سُنن الأقوال والأفعال، كتاب الجهاد، باب في الأمان والمعاهدة والصُّلح، برقم 10913، ج 4، ص 362.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

هذا هو الفارق الجوهريّ المبين بين الشّريعة . كقانون سماويّ . وبين التّشريع الذي يضعه المشرّعون، فإذا كان من صور العدل اتّصاف القانون بالعدل، فواضعوا القوانين البشريّة بشر فيهم ظلم وجهالة، وبسبب ذلك يُقرّرون كثيراً من القواعد القانونيّة التي تتّصف بالظُّلم، كالقوانين التي تُحِلّ الخمر، وتمنع من القصاص من القاتل، واقتصاص الإنسان ممَّن اعتدى عليه.

لزوم الطَّاعة والمسؤولية:

إنَّ رئيس الدَّولة في الإسلام . (الخلفية) أو (الامام) . يُعَدُّ مسؤولاً عن أعماله جميعاً. هذه المسؤولية تنبيء عنها كثير من نصوص القرآن والسُّنَّة، وأقوال الخلفاء الرّاشدين.

يستفاد مبدأ مسؤولية ولاة الأمور . بوجه عام . من تلك النُّصوص القرآنيّة التي توجب الشُّورى، فلولا أنَّ للأُمّة . كما يقولون . حقّ الرَّقابة على الحاكم ما أُمِر أن يستشيرها . كما يستفاد هذا المبدأ أيضاً من تلك النُّصوص التي تأمر بطاعة أولي الأمر، لكن بشرط اتّباع أحكام الشَّرع الإسلاميّ وعدم اتّباع الأهواء، كما في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِيعُوٓاْ أَمۡرَ ٱلۡمُسۡرِفِينَ ١٥١ ٱلَّذِينَ يُفۡسِدُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا يُصۡلِحُونَ ١٥٢﴾ [الشعراء: 151-152]، وقوله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ مَنۡ أَغۡفَلۡنَا قَلۡبَهُۥ عَن ذِكۡرِنَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ وَكَانَ أَمۡرُهُۥ فُرُطٗا ٢٨﴾ [الكهف: 28]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٤٤﴾ [المائدة: 44].

وهنالك كذلك كثير من الأحاديث يستفاد منها تقرير مبدأ مسؤولية ولاة الأمر والأخذ على أيدي ظالميهم كقول الرَّسول ﷺ: (إِنَّ اللهَ يَرْضَى لَكُمْ ثَلَاثاً وَيَسْخَطُ لَكُمْ ثَلَاثاً، يَرْضَى لَكُمْ أَنْ تَعْبُدُوهُ وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً، وَأَنْ تَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعاً وَلَا تَفَرَّقُوا، وَأَنْ تُنَاصِحُوا مَنْ وَلَّاهُ اللهُ أَمْرَكُمْ...)[1]، وقوله ﷺ: (إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأَوُا الظَّالِمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدَيْهِ أَوْشَكَ أَنْ يَعُمَّهُمُ اللهُ بِعِقَابٍ)[2]، وقوله ﷺ: (لاَ طَاعَةَ فِي المَعْصِيَةِ إِنَّمَا الطَّاعَةُ فِي الْمَعْرُوفِ)[3]. وكذلك من الأحاديث المتفق عليها قول الرَّسول ﷺ: (السَّمْعُ وَالطَّاعَةُ عَلَى الْمَرْءِ الْمُسْلِمِ فِيمَا أَحَبَّ وَكَرِهَ مَا لَمْ يُؤْمَرْ بِمَعْصِيَةٍ، فَإِذَا أُمِرَ بِمَعْصِيَةٍ فَلاَ سَمْعَ وَلاَ طَاعَةَ)[4].

وممَّا يؤيّد هذا المبدأ في الإسلام ما نهج عليه الخلفاء الرَّاشدون في سياساتهم وما سجّلوه في أقوالهم من الاضطلاع بمسؤوليتهم، من ذلك ما يذكر عن عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من أنَّه حين ولي الخلافة خطب في النّاس، فكان ممَّا قال أحد الحاضرين: « والله لو رأينا فيك اعوجاجاً لقومناه بسيوفنا » فحمد الله على ذلك.

يستفاد ممَّا تقدَّم أنَّ طاعة أولياء الأمر أصل من أصول الحُكْم الإسلاميّ، لكن في غير معصية، فسلطة الإمام أو الحاكم في الإسلام غير مطلقة، بل مقيَّدة باتّباع أحكام القرآن والسُّنَّة.

كذلك شدَّد القرآن الكريم على ضرورة طاعة الله وولاة الأمور، وجعل هذه الطَّاعة من مقاييس الإيمان وعلامة

(1) أخرجه الإمام مالك في موطأه، كتاب الجامع، باب ما جاء في إضاعة المال وذي الوجهين، برقم 3632، ج 5، ص 1442.
(2) أخرجه أبو داود في سُننه، كتاب الملاحم، باب الأمر والنَّهيّ، برقم 4340، ج 4، ص 214.
(3) أخرجه الشَّيخان، البخاريّ في صحيحه، كتاب التَّمني، باب ما جاء في إجازة خبر الواحد، برقم 6830، ج 6، ص 2649، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم 4871، ج 6، ص 15.
(4) أخرجه الشَّيخان، البخاريّ في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السَّمع والطَّاعة ما لم تكن معصية، برقم 6725، ج 6، ص 2612، ومسلم في كتاب الإمارة، باب وجوب طاعة الأمراء في غير معصية وتحريمها في المعصية، برقم 4869، ج 6، ص 15.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

من علاماته البارزة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النُّور: 51]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾﴾ [النِّساء: 59]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا جَآءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ ٱلْأَمْنِ أَوِ ٱلْخَوْفِ أَذَاعُواْ بِهِۦۖ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسْتَنۢبِطُونَهُۥ مِنْهُمْۗ وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ لَٱتَّبَعْتُمُ ٱلشَّيْطَٰنَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٣﴾﴾ [النِّساء: 83].

فشأن المؤمنين . إذاً . الطَّاعة للسُّلطة الحاكمة بأمر الله ورسوله، ومعنى الطاعة هنا النُّصرة والولاء والامتثال للأوامر . الطَّاعة بالقول والفعل .، فالطَّائعون لولاة أمرهم في الحقّ أولئك هم المفلحون، إذ لا فلاح بلا نظام وتماسك وجدّيّة، والطَّائعون هم المؤمنون الذين يؤمنون بالله قولاً وعقيدة وفعلاً، فالإيمان بالله يقتضي العمل لتكون كلمة الله هي العليا، ولا يكون عمل بلا قيادة مطاعة، نافذة الكلمة، سارية الأمر. وإنَّ فضل الله ورحمته لتتنزّل على المؤمنين الذين يتميّزون بالطَّاعة والامتثال لأوامر أولي الأمر من المسلمين. أمَّا البديل للطَّاعة والنِّظام وسيادة القانون الإلهيّ فهو الفوضى واتّباع الهوى واتّباع الشَّيطان، فالذين لا يردّون ما اشتجر من أمورهم واختلف من آراءهم إلى الله وإلى الرسول وإلى العلماء وولاة الأمر منهم؛ إنَّما يفتحون الباب واسعاً للفتن ولغو الشَّيطان ودعاة الضَّلال والعصيان.

إنَّ الطَّاعة والامتثال لأوامر الله تعالى ورسوله ﷺ ولأولي الأمر من المؤمنين على المستويات كافة وعلى الأصعدة كلّها هي سبيل المؤمنين إلى القوّة؛ لأنَّها سبيلهم إلى التَّضامن والتَّكاتف والوحدة. كما أنَّ العصيان والتَّمرُّد والإعراض عن حُكْم ولاة الأمر من الحُكَّام والقضاة والعلماء المجتهدين إنَّما هو أوسع باب لدخول الفتنة والشَّيطان بين المؤمنين. ومتى سادت الفتنة ومتى اتّبع النّاس الشَّيطان فإنَّ ذلك هو الوهن والضَّعف وذهاب الرِّيح؛ لأنَّ ذلك هو سبيل التَّفكُّك والاختلاف والتَّمزُّق والافتراق.

الحُرّيَّة:

لقد أخذ الإسلام بالحُرّيَّات المختلفة: الحُرّيَّة الشَّخصيّة، حُرّيَّة الرَّأي، حُرّيَّة العقيدة، حُرّيَّة أو حُرْمة الملكيّة.

1. الحُرّيَّة الشَّخصيّة:

اختلف علماء المسلمين حول تعريف الحُرّيَّة الشَّخصيّة وبيان مضمونها، فالشَّيخ/عبد الوهَّاب خلاّف . مثلاً . يرى أنَّ المراد من الحُرّيَّة الشَّخصيّة (أن يكون الشَّخصُ قادراً على التَّصرُّف في شؤون نفسه، وفي كلّ ما يتعلَّق بذاته، آمناً من الاعتداء عليه في نفسه أو عِرْضه أو ماله أو مأواه أو أيّ حقّ من حقوقه، على ألّا يكون في تصرُّفه عدوان على غيره»[1].

من التَّعريف يتبيَّن أنَّ الحُرّيَّة الشَّخصيّة معنى مكوَّن من حُرّيَّات عدّة، هي: حُرّيَّة الذَّات، وحُرّيَّة المأوى، وحُرّيَّة الملك، وحُرّيَّة الاعتقاد، وحُرّيَّة الرَّأيّ، وحُرّيَّة التَّعلُّم.

ويقول أبو الاعلى المودوديّ بصدد الكلام عن الحقوق الأساسيّة للأفراد في الإسلام: «والحقّ المهمّ الثاني هو المحافظة على حُرّيَّتهم الشَّخصيّة، فلا يحلّ في الإسلام أن يُسْلَب الفرد حُرّيَّته من غير أن تثبت عليه الجريمة، ويُسْمَح

(1) عبد الحميد متولي، مباديء نظام الحُكْم في الإسلام ،مرجع سابق، ص 705.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

له بالدِّفاع عن نفسه، وهذا ما يطلق عليه في الفقه الحديث: (حقّ الأمن)»[1].

بينما يطلق بعض آخر من علماء الشَّريعة على حقّ الأمن اصطلاح (الحُرِّيَّة الفرديّة) أو (حُرِّيَّة الذَّات) . كما يلاحظ أنَّ بعضهم أشار إلى (حُرْمة المسكن)، وكذلك إلى (حُرِّيَّة التَّنقُّل) ولكن تحت تسميّة (حُرِّيَّة المأوى).

على أيّة حال فالقليل من علماء الفقه الإسلاميّ هم الذين عرضوا للكلام عن الحُرِّيَّة الشَّخصيّة وتعريفها. والمهم هنا هو البحث عن إلى أيّ حدّ أخذ الإسلام بالحُرِّيَّة الشَّخصيّة ومشتملاتها أو مضمونها.

الحُرِّيَّة الشَّخصيّة كما يُعرِّفها الفقه الدّستوريّ الحديث تشمل ثلاثة حقوق أو حُرِّيَّات مختلفة، هي: حُرِّيَّة التَّنقُّل، حقّ الأمن، حُرْمة المسكن.

أمَّا فيما يتعلَّق بحُرِّيَّة التَّنقُّل فيلاحظ أنَّ هذه الحُرِّيَّة هي ممَّا تشمله . في نظر بعض رجال الفقه الإسلاميّ . حُرِّيَّة المأوى. وفي أحكام الإسلام ما يكفل هذه الحُرِّيَّة، فإنَّ النَّفي أو الإبعاد هو جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون في الأرض فساداً.

والإسلام يسمح بتحديد أو تقييد هذه الحُرِّيَّة بما يمليه الصالح العام، فالخليفة عمر بن الخطَّاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كان يمنع كبار الصَّحابة وأهل الرَّأي من مغادرة المدينة، اللهم إلَّا بولاية يتولونها وإمَّا قيادة جيش يقودونه؛ وذلك حتَّى يتيسَّر له الرُّجوع إليهم فيما يعرض له من مشاكل أو مسائل، أي لأنَّه يريد أن ينتفع بهم وبآرائهم في قيامه بحُكْم المسلمين.

وكذلك أمر عمر بن الخطَّاب ﷺ بإبعاد نصر بن الحجاج عن المدينة خشية أن تفتتن به نساؤها، في حادثة شهيرة معروفة.

أمَّا حقّ الأمن فإنَّ الإسلام يكفله بما قرَّره من عقوبات تشمل ما هو معروف بـ (الحدود) و(التَّعازير). وقد اتّفقت كلمة علماء الإسلام على أنَّ العقوبات ممَّا لا تثبت بالرَّأي والقياس، وأنَّها لا تثبت إلّا بالنَّصّ. وقد ورد في القرآن الكريم ﴿فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ [البقرة: 193]، كما ورد قوله تعالى: ﴿فَمَنِ اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُوا عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَىٰ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: 194]. فالنّهي هنا عن العدوان إلّا على ظالم أو معتدٍ، وفي الأمر بأن يكون الاعتداء على الظَّالم مماثلاً لاعتدائه دليل على كفالة حقّ الأمن.

أمَّا حُرْمة المسكن فقد كفلها الإسلام في الآية الكريمة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّىٰ تَسْتَأْنِسُوا وَتُسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ۚ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [النُّور : 27].

2. حُرِّيَّة الرَّأي:

كفل الإسلام للفرد حُرِّيَّة إبداء الرَّأي، بل إنّه قد جعل منها واجباً عليه لا حقّاً له فحسب، والنّصوص القرآنيّة والأحاديث النَّبويّة كثيرة وشهيرة في هذا الصَّدد، من تلك الآيات قوله تعالى: ﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ﴾ [آل عمران: 104]، وقوله: ﴿ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [النَّحل: 125]، ومن الأحاديث قول الرَّسول ﷺ: (كَلِمَةُ حَقٍّ عِنْدَ ذِي سُلْطَانٍ جَائِرٍ)[2].

(1) مباديء نظام الحُكْم في الإسلام ،المرجع السَّابق.
(2)() أخرجه ابن ماجه، سُنن ابن ماجه، كتاب الفتن، باب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، ج 5، ص 139.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

على أنَّ الشَّأن بصدد حُرِّيَّة الرَّأي يختلف من النَّاحية الشَّرعيّة باختلاف ما إذا كان الرَّأي متعلّقاً بأمر من الأمور غير ذات الطَّبيعة الدِّينيّة أو ما كان من الأمور ذات الصِّبغة الدِّينيّة. فإنَّ للفرد الحُرِّيَّة أن يبدي من الآراء ما يشاء، ولكن دون عدوان، أي دون أن يكون قاذفاً أو سابّاً أو داعياً الى فتنة، فقد قال تعالى: ﴿۞ لَّا يُحِبُّ ٱللَّهُ ٱلْجَهْرَ بِٱلسُّوٓءِ مِنَ ٱلْقَوْلِ إِلَّا مَن ظُلِمَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا عَلِيمًا ﴿١٤٨﴾﴾ [النِّساء: 148]، وكان الصّحابة رضي الله عنهم . يختلفون فيما بينهم أو يختلفون مع الرَّسول ﷺ في المسائل الاجتهاديّة التي لم يرد فيها نصّ بصدد بعض الغزوات.

أمَّا في الأمور ذات الصِّبغة الدِّينيّة أو الشَّرعيّة فإنَّ لكلِّ مجتهد في غير موضوع النَّصّ أن يجتهد برأيه في حدود أصول الدِّين الكُلّيّة، وقد جاء في السُّنَّة المطهَّرة أنَّ كلَّ مجتهد مأجور، إن أخطأ فله أجر، وإن أصاب فله أجران. فالمثوبة على الاجتهاد حتّى في حالة الخطأ دليل على أنَّ الإسلام يُقدِّر حُرِّيَّة الرَّأي ويحثّ على إبدائه.

3. حُرِّيَّة العقيدة الدِّينيّة:

يُقصد بها حُرِّيَّة غير المسلم في اعتناق الدِّين الإسلاميّ، وحُرِّيَّة إقامة شعائره الدِّينيّة ، كما تعني أن يكون إيمان المسلم عن طريق البحث والنَّظر والتَّأمُّل، لا عن طريق مجرَّد التَّقليد للآباء.

هناك العديد من الآيات القرآنيّة التي تكفل حُرِّيَّة العقيدة الدِّينيّة، منها قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا ۚ أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿٩٩﴾﴾ [يونس: 99]، وقوله: ﴿ لَآ إِكْرَاهَ فِى ٱلدِّينِ ۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشْدُ مِنَ ٱلْغَىِّ ۚ﴾ [البقرة: 256].

كما نجد من الآيات القرآنيّة ما يحثّ الفرد على أن يُكوّن عقيدته بناءً على النَّظر والتَّأمُّل، لا على مجرّد محاكاة وتقليد الآباء، كقوله تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَنظُرُوا۟ فِى مَلَكُوتِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ ٱللَّهُ مِن شَىْءٍ ﴾ [الأعراف: 185]، وقوله: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآ ۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ [البقرة: 170].

لقد كان مبدأ كفالة الحُرِّيَّة الدِّينيّة والأخذ بسياسة التَّسامح مع غير المسلمين من المباديء التي جاءت بها تعاليم الإسلام، وأخذ بها حُكَّام المسلمين في مختلف العهود، لا سيما في صدر الإسلام.

حُرِّيَّة أو حُرْمة الملكيّة: كفل الإسلام هذه الحُرِّيَّة بأحكام عدّة، فنهى القرآن في مواضع مختلفة عن الاعتداء على مال الغير، من ذلك قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ ﴾ [البقرة: 188]، ومن ذلك أيضاً تقرير عقوبة شديدة على السَّرقة.

لم يذمّ الإسلام الغنى لذاته، بل إنَّ شأنه هو العكس، فقد حثَّ على الحصول عليه، وذلك دون أن يضع له حدّاً أعلى لا يجوز تجاوزه.

يلاحظ أنّ الإسلام إذا لم يكن قد جاء بتحديد حدٍ أعلى للثَّروة أو للدَّخل؛ فإنَّه لم يأت بما يحول دون إجراء ذلك التَّحديد إذا تطلَّبت ضرورة أو مصلحة عامة وضع ذلك الحدّ الأعلى. ومن ناحية أخرى فإنَّ الإسلام قد جاء ببعض القيود على طريقة استعمال حقّ الملكيّة وعلى وجوه إنفاق الثَّروة.

يُعَدُّ حقّ الملكيّة في الإسلام بمثابة وظيفة اجتماعيّة، فالمالك غير حُرٍّ في استعمال حقّه في الملكيّة وَفق ما

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

يمليه هواه؛ إنَّما عليه أن يستعمله وَفق ما تمليه مصلحة المجتمع أو ما تمليه مصلحته لكن من غير إضرار بغيره، وفي الحدود التي رسمها الله في القرآن.

لقد عبَّر القرآن عن هذه النَّظرة إلى الملكيّة في غير قليل من آياته؛ فالمال . على حدّ تعبير هذه الآيات . هو مال الله؛ لقوله تعالى: ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾ [الشورى: 49]، وقوله: ﴿ وَءَاتُوهُم مِّن مَّالِ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ ءَاتَىٰكُمْ ﴾ [النور: 33]، والإنسان إنَّما هو بمثابة خليفة أو وكيل عن الله في حفظ ما تحت يده من مال، فهو مؤتمن عليه ومحاسب على كيفيّة إنفاقه، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: 30]، وقوله: ﴿وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ ﴾ [الحديد: 7].

الخاتمة

إنَّ التّنشئة السِّياسيّة جزء لا يتجزأ من التّنشئة بوجهٍ عام؛ ولذلك يظهر وجوب التّنشئة السِّياسيّة وأهميّتها لكونها تُكمِّل مفهوم التّنشئة بوجه عام؛ فإنَّها السَّبيل إلى تصحيح عمليّة التّنشئيّة وتقويمها، حتَّى تصبح كاملة لا يشوبها نقص ولا يعتريها ضعف أو خلل. ومن ناحية أخرى فإنَّ التّنشئة السِّياسيّة تُعَدُّ جزءاً من النِّظام الإسلاميّ المتكامل؛ لذلك جاءت هذة الورقة في محاولة تأصيليّة لربط هذه الأجزاء بتلك الأصول، فكان موضوعها هو الاصول الاسلامية للتّنشئة السِّياسيّة. وقد خرجت الورقة بالنَّتائج والتَّوصيات التَّالية:

أولاً: النَّتائج:

1/تُشكِّل النَّظرة الإسلاميّة إلى (الله) و(الكون) و(الإنسان) الإطار الأساس الذي يوجِّه العمل التّربويّ الإسلاميّ، فالتّنشئة الإسلامية تعتبر المباديء والمعتقدات الخاصة بمفهوم الوجود وطبيعته وبعلاقة جوانبه المختلفة جزءاً من محتويات فلسفتها التي تسترشد بها، وتقوم عليها غاياتها وأهدافها الأساسيّة.

2/ للإسلام دورٌ تربويٌّ في المجتمع يتجلّى في كونه ناسجاً للإطار الفكريّ للمجتمع، ومحدِّداً لمعاييره القيميّة والأخلاقيّة، ومنظِّماً لحياته الاجتماعيّة بجميع أبعادها: السِّياسيّة، والاقتصاديّة، والتَّعليميّة، والاجتماعيّة بمعناها العام والخاص.

3/ تعتمد التّنشئة في الإسلام على بناء الإنسان على الفكر الإسلاميّ بناءً عقليّاً، وروحيّاً، وجسميّاً، واجتماعيّاً، ونفسيّاً، وترى أنَّ بناء الإنسان على هذا النّحو هو أساس بناء النُّظُم الاجتماعيّة: سياسيّة، واقتصاديّة، وترفيهيّة، وأُسريّة، وقانونيّة، وعسكريّة، وتربويّة.

4/ ترتكز التّنشئة السِّياسيّة في الفكر الإسلاميّ على عدد من الأُسس أهمّها: الضَّبط الاجتماعيّ للإنسان والمجتمع، تكامل جوانب الحياة، تكافؤ الفرص في جميع مجالات الحياة، تنمية الذّكاء الفطريّ للإنسان بالتَّفكير.

5/ التّنشئة السِّياسيّة ضرورة حتميّة لتحقيق الإسلام كما أراده الله أن يتحقَّق، وهي بهذا المعنى تهييء النَّفس الإنسانيّة لتحمُّل هذه الأمانة، وهذا يعني . بالضَّرورة . أن تكون مصادر الإسلام هي نفسها مصادر التّنشئة السِّياسيّة في الإسلام، وأهمّها: القرآن والسُّنَّة، والاجتهاد الذي يشمل الإجماع.

6/ تتمّ صياغة وتشكيل التّنشئة السِّياسيّة في الإسلام على عدد من المؤسَّسات، أهمّها: الأُسرة، المسجد، المدرسة ، وسائل الإعلام، الأحزاب والقوى السِّياسيّة.

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 - 8441 - ISSN (PRINT): 1858 - 845X

7/ هناك ضرورة ملحة إلى صياغة أهداف تربويّة محدَّدة تتّصف بالأصالة والمعاصرة في مجال التّنشئة السِّياسيّة في الإسلام، وذلك للوصول إلى بعض الأهداف، أهمّها: تحقيق الحاكميّة لله، تطبيق الشُّورى بين النّاس، نشر العدالة، تحقيق الطَّاعة والمسؤولية بين الحاكم والمحكوم، توفير الحُرِّيَّة.

ثانياً: التَّوصيات:

1/ ضرورة اهتمام الباحثين والدَّارسين في مجال التّنشئة بموضوع التّنشئة السِّياسيّة بصفة عامة، وموضوع تأصيل التّنشئة السِّياسيّة بصفة خاصة، بحيث توجَّه الدِّراسات المتخصِّصة والمعمَّقة في هذه الموضوعات.

2/ ضرورة إنشاء مراكز بحثية، ومجلات علمية محكمة متخصصة في مجال الأصول الإسلامية للتّنشئة، تتناول مختلف قضايا التّنشئة المتضمنة لهذا المجال .

3/ ضرورة إنشاء معاهد للتّنشئة السِّياسيّة لتأهيل كوادر مدرَّبة في هذا التَّخصُّص المهمّ.

4/ ضرورة وضع منهج متكامل للتّنشئة السِّياسيّة يتمّ تفصيله في شكل مقرَّرات دراسيّة، تُدرَّس في مختلف المراحل الدِّراسيّة، بحيث تكون صياغة هذه المناهج مستوحاة من نتائج البحوث التَّجريبيّة في هذا المجال، ومن المنابع الأصليّة لهذه الأُمّة.

5/ ضرورة الاستفادة من التَّجارب الحديثة في مجال مناهج التّنشئة السِّياسيّة، مع مراعاة ملائمتها لمباديء الشَّريعة الإسلاميّة وروحها من ناحية، ومع طبيعة المجتمعات وتكويناتها وغاياتها من ناحية أخرى.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم.

أولاً: المصادر:

(1) تفسير الطّبريّ، محمد بن جرير بن يزيد الطَّبريّ، (القاهرة : دار المعرفة، 1990م).

(2) تفسير القرآن العظيم، عماد الدِّين أبو الفداء إسماعيل بن كثير (القاهرة: دار السَّلام للطِّباعة والنَّشر، 1996 م).

(3) تفسير كلمات القرآن الكريم، حسنين محمد مخلوف، الطَّبعة الرَّابعة (دمشق: دار الفجر الإسلاميّ، 1997 م).

(4) صحيح البخاريّ، أبو عبد الله إسماعيل بن إبراهيم بن بردية البخاريّ الجعفيّ (بيروت: دار الفكر للطّباعة والنَّشر، د. ت).

(5) صحيح مسلم، أبو الحسين مسلم بن الحجّاج القشيريّ النيسابوريّ (بيروت: دار إحياء التُّراث العربيّ ، د. ت).

ثانياً : المراجع:

1. نور الدِّين محمد حميدان نصَّار، الأصول الإسلاميّة للتّربية الاقتصاديّة، رسالة مقدَّمة لنيل درجة الماجستير في التّربية من جامعة النّيلين، يوليو 2002م .
2. علي خليل أبو العينين، أصول الفكر التّربويّ الحديث بين الاتّجاه الإسلاميّ والاتّجاه التّقريبيّ (القاهرة: دار الفكر العربيّ، د. ت).

المجلة العلمية المُحكمة للأكاديمية العربية الدولية
The Scientific Journal of the International Arab Academy
IUU Membership Certificate No.: 1102202600217 - Arab Impact Factor Certificate No.: 287
ISSN (ONLINE): 1858 – 8441 – ISSN (PRINT): 1858 - 845X

3. محمد أسعد طلس، التّربية والتّعليم في الإسلام (بيروت: دار العلم للملايين، 1957م).
4. ابن منظور، لسان العرب، ط/3 (بيروت: دار صادر، 1414 هـ)، ج 1.
5. حسن عبد الله التّرابيّ، السِّياسة والحُكْم، (بيروت: دار السّاقيّ، 2003م).
6. بسيوني حمادة، دور وسائل الاتّصال في صنع القرارات في الوطن العربيّ، (القاهرة: مركز دراسات الوحدة العربيّة، 1992م).
7. إسماعيل علي سعد، أصول علم الاجتماع السِّياسيّ (القاهرة: دار المعرفة الجامعيّة، 1978 م).
8. موريس دفرجية، علم اجتماع السِّياسة؛ ترجمة سليم حداد (بيروت: المؤسَّسة الجامعيّة للدِّراسات والنَّشر والتَّوزيع، 1991م).
9. محمد ياسر شرف، مُقَدِّمَة لوعيّ إعلاميّ (الخرطوم: دار المسار، 1998 م).
10. ماجد عرسان الكيلانيّ، أهداف التّربية الإسلاميّة في تربية الفرد وإخراج الأُمّة وتنمية الأُخوة الإنسانيّة (القاهرة: المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، 1997م).
11. هشام أحمد عوض جعفر، الأبعاد السِّياسيّة لمفهوم الحاكميّة، (هيرندن: المعهد العالميّ للفكر الإسلاميّ، 1995م).
12. زكريا بشير إمام، مدخل النَّظريّة السِّياسيّة في القرآن الكريم (الخرطوم: دار هزبرا للنَّشر، 1999م).
13. عبد الحميد متولي، مباديء نظام الحُكْم في الإسلام (القاهرة: دار المعارف، 1959م).